
روايات مصرية للجيب
زهور
116
شموع ورياح
« الأمل 3 »
Looloo
www.dvd4arab.com
فوزي عوض

هــذه السلسلة ..

عندما تتحولّ حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..

يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحـب بمعنـاه الرحـب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلـف

الفصل الأول

على طريق (صلاح سالم) وفى جلال وروحانية أولى ساعات الفجر المنسَمة برقـة وعبـق نسـمات مطلع شهر « مارس » انطلق (هشام البكرى) بسيارته الجيب الـ « بى . إم . دبليو » ، وهو لا يكاد يرى شيئًا من الطريق ولا معالمه ، ولا يسمع شيئًا من أصـوات التهـام السيارات المارقة لأسفلته .. ذهبت حواسه كلها إلى شىء آخر بعيد تمامًا عن الطريق ومعالمه وسياراته .. إلى وجه (فاطمة) وصوتها وهى تزيح له ستار القدر عن واحدة من أشد أفاعيل القدر عجبًا وإدهاشًا ..

« أنا ملاكك الغامض يا (هشـام) باشا ، وبرجك هـذا الذى أكرمتنى أنا وأولادى بإحدى شققه ، هـو فى الأصل فيللتى التى ورثتها عن أبوى » .

يا الله !!!!

أية قوة هذه التى تستطيع أن تفعل هذا بالخلق ؟!!

تستطيع أن تدير أقدار الخلق بهذه الإثارة والجبروت والإحكام ؟!!

تجمع شابًا فقيرًا بائسًا بفتاة ثرية من أهـل النعيم والعز ، وتجعل من الفتــاة صاحبة فضل على الشــاب ، ثم فجأة تفرّق بينهما ، وتدفع بهمــا فى متاهات الحيــاة فلا يلتقيان ، وتظل مباعدة بينهما لعشرات الســنين ، وهى تطحنهما بأقسى ما لديها من حوادث وظروف ومصاعب ، حتى كادت تمحــو ذكرى كل منهما من نفس الآخر ، وفجأة يجد الاثنان نفسيهما أمام بعضهما وجهًا لوجــه وقد تبادلا موقعيهما ، فإذا به هــو القادر صاحب الفضل ، وإذا بها هى المدينة له بالفضل بعدما انتشلها من بؤس أشد من بؤسه الذى كــان ، كيف حدث هذا ؟! لا أحد منهما يدرى ، ولا أحــد منهما يستطيع أن يفهم منــه سوى أنه تدبير إعجازى لا يملك العقل البشرى له إدراكًا ، فأية مشيئة هذه التى تملك مثل هذا التدبير ؟!

وأية قوة هذه التى بمقدروها أن تفعل هذا بالخلق ؟!

هكذا عادت به دورة تفكيره الذاهل إلى ذات السؤال الذى بدأت به ليجد نفسه يرفع عينيه إلى السماء ، وكأنما يُلقى عليها بسؤاله ، وما كاد يفعل حتى كان الجواب يدوّى فى الفضاء محيطًا به حاسمًا قاطعًا ، لا يقبــل تأويلاً : « الله أكبر » .. إنه أذان الفجــر وقد

ارتفع من مكبرات صوت « الأزهر » و« الحسين » ومساجد مصر القديمة .. ارتج كيانه كله ، وانخفضت عيناه فورًا مبتهلاً بكل خشوع وتأدُّب :

ـ الله أكبر .. الله أعظم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وانعطف بالسيارة يمينًا قاصدًا مسجد « الحسين » ، ليسجد بين يدى المولى (عز وجل) ، مسلمًا بقدرته وعظمته .

* * *

العلاقة بين (عادل ذكى) وأمه ليست علاقة أمومة فحسب ، بل هى صداقة مفعمة بحب وتفاهم مفرطين ، وهى العلاقة التى غالبًا ما تربط الأم ببكريها باعتباره أول وثيقة إثبات لأمومتها ، وأول فرحتها فى دنيــا الأمومة ، ودعاماتها العظمى التى تمكنها من تثبيت إمبراطوريتها الزوجية فى مستهلها ، وما علاقة (عادل) بأمه سوى خير مثــال على ذلك ، ومن هنا ما كان فى استطاعة (عادل) إخفاء شىء عنها ، ولو بذل المستحيل فى ذلك .. ومن عادات (عادل) التى لم يقطعها يومًا منذ زواجه أن يمر بأبويه فى نهاية يومه ليطمئن عليهما قبل أن يصعد إلى شقته بالطابق

الذى يعلوهما ، وهو ما فعله بتلقائية بمجرد عودته من زيارة (عماد) و(سوزى) فور إفراج النيابة عنه .. دخل عليهما فإذا بهما ساهران فى حال لا يُرثى لها ومعهما زوجته الشابة الجميلة (عزة) وطفلتهما (مى) ابنة السنوات التسع ، والتى أخذت من أمها كل جمالها وحنانها ومن أبيها كل فطنته وجرأته ، وقد بدت الزوجة والابنة وكأن وجهيهما عُصِرا عصرًا من فرط بكائهما قلقًا عليه ، وما إن وقعت عليه عيون الجميع حتى انقضوا عليه معانقيه بالدموع والقبلات ، وهم يستابقون فى سؤاله عن سبب تأخّره حتى هذه الساعة ، فهو أبدًا لا يتأخر فى عمله على التاكسى لأكثر من منتصف الليل كى ينام مبكرًا ، ويستيقظ مبكرًا لعمله فى الشركة ، ولكـن ها هـو لأول مـرة يتأخر عليهم لما بعد الثالثة صباحًا ، فمـاذا حدث معـه واضطره إلى هذا ؟ مـاذا حدث ؟ حاصره السؤال منهم جميعًا ، وكان جوابه بهدوء مشرّب بالغم والحزن :

ـ تعطلت منى السيارة فى محافظة (6 أكتوبر) ، واضطررت لإصلاحها هناك .

وجاءه سؤال (عزة) سريعًا :

ـ إلى هذا الوقت ؟

التفت إليها بغمه :

ـ نعم يا (عزة) ، إلى هذا الوقت .

ـ أو ليس معك موبايل ؟

كاد صبر (عادل) ينفد ، فى حين لم يكن سخط أمه أقل من سخط زوجته ، ومع ذلك أسرعت تقول لها بحسم :

ـ كفى يا (عزة) .. وهيا خذى ابنتك فى حضنك واصعدوا .

ولم تملك الزوجة الشابة إلا الإذعان فى أدب :

ـ حاضر يا ماما .

وحملت طفلتها فى حضنها ، ومضت مع زوجها ، بينما أمه تشيعه بنظرة حيـرة وتساؤل ظـلا يفوران بداخلها حتى عودته مسـاء يومه التـالى .. فمـا إن دخـل عليها هى ووالده حتى اصـطحبته بمنتهى الهـدوء إلى غرفتهـا ، لتجلس على حافة فراشـها قائلة له بحسـمها الهـادئ ، وهى تنظـر فى عينيه مباشرة :

ـ اجلس !

بمنتهى الأدب جلس أمامها فى وجــوم وتســاؤل ، فـــإذا بها تغوص فى عينيه بعينيها العَفيَّتين فى صرامة وحدة أثارا دهشته ، وجعلاه يهم بأن يسألها عما بها ، فإذا بها هى الى تسبقه بصرامتها وحدتها :

ــ أين كنت ليلة الأمس يا (عادل) ؟

أدرك ما بها ، ومع ذلك وجد نفسه يرسم ابتسامة مرهقة على شفتيه ، ويصطنع الدهشة :

ــ ما هذا يا أم (عادل) ؟! استجواب بائت ؟!

ــ بل استجواب مؤجل يا بن الحاج (ذكى) .. أم كنت تريدنى أن استجوبك الفجر وأنت عائد بوجه أصفر كالليمونة ؟

ــ أنت فعلاً سألتنى يا أمى وأنا أجبتك .

ــ بالحقيقة ؟

ــ ومنذ متى أكذب عليكِ يا أم (عادل) ؟

ــ فعلتها ليلة الأمس يا بن بطنى .

ــ ما عاشت ولا كنت يا أم (عادل) .

قالها وهو يتشبث بابتسامته المرسومة ، ومرحه المصطنع بآخر ما فى عزمه ، وهو ما حرّك غيظها منه ، فلم تملك إلا أن تغرس نظراتها الحادة العَفِيَّة فى عينيه مستحلفته بعزم :

ــ أتقسم بحياتى بأن ما قلته هو الحقيقة ؟

وأُسقط فى يد (عادل) ، واختفت على الفور ابتسامته مخلّفة توترًا واضحًا على وجهه ، بينما صمتت الأم تمامًا تاركة عينيها تحاصرانه من أعماقه ، حتى أجبرته على النطق ، فنطق ، ليس فقط بما حدث فى أمسه ، بل بما حدث يوم أن التقى بـ (عماد) مصادفة على بعد أمتار معدودة من منزلهم هذا ، واصطحبه معه ، لتقع منه فى التاكسى ودون أن ينتبه نقط منع الحمل السرطانية التى كان يستخدمها فى قتل (سوزى) غدرًا وأنانية ..

و .....

و .....

ومع آخر لفظـــة فى الحكاية نطق بهـــا الابن كانت عينا أمه تتحجران على وجهه ، وكانت أنفاسها تتباطأ وتتحشرج ، وكان

صدرها يعلو ويهبط بصعوبة واضحة ، وكان وجهها يمتقع ، ثم يشحب اصفرارًا باهتًا ، ثم ينطفئ بزرقة مخيفة من جراء بروز عروقه ، وكان رأسها يتطوّح إلى الوراء وهى تطلق شهقة مفزعـــة ، جعلت ابنها يصرخ فيها مذعورًا مناديًا عليها ، ولكنه لم يتلق منها جوابًا فقد خارت بين يديه لافظة آخر أنفاسها ..

★ ★ ★

مع دقات السابعة صباحًا كان (عماد ذكى) يزيح عنه غطاءه بعصبية مغادرًا فراشه .. أوشك أن يكره هذا الفراش من أرقـــه المزمن الذى يلتهم أعصابه كل ليلة ، فقد صار عذابه الليلى الذى لا ينقطع أن يخور جسده كله ويستجدى النوم بمجرد أن يلامس الفراش فى نهاية يومه إلاّ مخه يأبى النوم تمامًا فى عناد عجيب محوّلاً لياليه إلى وصـــلات عذاب منتظمـــة ، وحتى أقراص الـــ « زولام » التى وصفها له طبيب المخ والأعصـــاب الذى استغاث به منذ ما يزيد على ثلاثة أشهر لم تأته بأدنى نتيجة .. ها هو شره الذى ظنه خافيًا على الناس يبدأ فى الانقلاب عليه ، فيحرمه من أعز ما يعيش عليه كل كائن حى .. من ساعة نوم ترحم مخه وأعصابه من صراع الحياة وعذاب السهر ..

مضى إلى الحمّام مارًّا بـــ (سوزى) وهى تحوّل صحون الإفطار إلى مائدة الطعام ، بادرها برقة منتزعة من آلام سهاده :

ـــ صباح الخير يا حبيبتى ..

ـــ صباح الفل يا حبيبى ..

دقائق وكان يغادر غرفته متجهًا إلى مائدة الطعام ببدلته كاملة وهو يراجع الأرقام التى طلبته على شاشة موبايله خلال إغلاق صوته ..

اســـم ما على شـــاشـــة الموبايل اســـتوقفه ، وجعله يقطب جبينه بمنتهى الدهشة ، وهـــو يمعن النظـــر فيـــه .. ولمحته (سوزى) ، وهى تقف إلى جـــوار مائدة الطعام فى انتظاره ، فكان سؤالها :

ـــ حبيبى .. ماذا هناك ؟!

ـــ ست وعشرون رنة من (عـــزة) !

ـــ زوجة (عادل) ؟!

ـــ نعـــم .

تحركت دهشتها هى الأخرى :

ـ غريبــة !

ودنت منه مردفة :

ـ اطلبها !

تطلع إليها بنظرة تردد ، فأسرعت تستطرد بمنتهى القلق :

ـ اطلبها يا (عماد) ! فهى لم تفعل ذلك إلا لضرورة قصوى .

أسرع يفعل ، وما إن أجابته زوجة شقيقه ، حتى كان يتهاوى فى المقعد الذى خلفه مباشرة وقد تخشّب وجهه ، وتحجرت عيناه ، وهو يحملق أمامه بجحوظ عيون الأموات ، وهوى قلب (سوزى) فى قدميها ، وهى تندفع نحوه وتهتف فيه بمنتهى الفزع :

ـ (عماد) ! ماذا حدث ؟!

ـ أمـــى .

ـ ماذا بها ؟!

ـ ماتت ..

أمى ماتت ..

ماتت غاضبة علىّ .

★ ★ ★

وبذهوله الذى أوشك أن يذهب بعقله وقف (عماد ذكى) فى ساحة مقابر « عرب الحصــن » يحملق فى النعش والمشيعون يسحبونه مــن عربة الموتى وينزلونه أرضًا ، حتى إذا ما همّوا بأن يخرجوا منه جثمان أمه لينزلوه القبر انفجر صراخه مروعًا ، وهو يندفع نحو الجثمان محاولاً جذبه بعيدًا عن القبر :

ـ لا .. لا يا أمى .. لا تذهبى هكذا .. لا تذهبى وأنت غاضبة علىَّ .. أنا (عماد) .. عمدتكِ .. حبيبكِ .. ألم أوحشكِ ؟ ها أنا جئتكِ .. جئتك لأقبّل يديكِ ، وأعتذر لكِ عن تأخرى عليكِ .. فهيا خذينى فى حضنكِ ، واقبلى اعتذارى ، وسامحينى .. هيا قولى لى سامحتك يا (عمدة) ، وراضية عنك .. هيا قوليها يا أمى .. هيا يا أم (عماد) .. يا أم (العمدة) .. هيا قوليها .. قوليها .. هيا .. هيا ..

وفوجئ المشيعون بهياج الفتى وصراخه الهيستيرى ، ولولا مسارعتهم بالإمساك به لطال كفن أمه ، ومزقه جنبًا كى يمنعها من النزول إلى مثواها ، وأسرع (هشام البكرى) و(يحيى إسلام) بأخذه من أيدى المشيعين ، وأسرع الأول يهتف به بانفعال واستنكار :

ـ (عماد) ! (عماد) ماذا دهاك يا رجل ؟! مـــاذا دهاك ؟! هـــل يفعـــل مسلم هـــذا ؟! أفق يا رجل ! أفق واسغفر الله ! استغفر الله وادع لها بالمغفرة والرحمة فهذا هو ما تحتاجه منك الآن ، وليست أفعالك هذه .. هيا ادع لها .. هيا .. هيا ..

وأمسك (هشام بكرى) بيدى (عماد ذكى) ورفعهما عنوة ، فلم يملك الأخير إلا أن يتطلع إلى الأول بدموعه التى تغشى عينيه ، ثم التفت إلى (يحيى) ، فكان قوله له بمنتهى الحنو :

ـ هيا يا أستاذ (عماد) .. هيا ادع لها بالرحمة .. إنها أمك حبيبتك ، ولا تحتاج منك الآن سوى دعائك الطيب .. فهيا انظر إليها وادع لها .. هيا ..

ولم يملك (عماد ذكى) إلا أن يستدير مستجيبًا ، فإذا بـــ (عادل) يخرج من القبر بعدما أراح أمه فيه بمنتهى الحنو .. وتلاقت عيون الشقيقين فى نظرة طويلة .. كانت نظرة الأول كلها حسرة

وضياع وفزع فى حين كانت نظرة الأخيـــر تحمل له رسالة من أمه الراحلة لا تزيد على كلمتين .. رسالة من كلمتين اثنتين فقط ولكنها تكفى لنسف جبل من أوتاده :

« الله يلعنك »

★ ★ ★

الفصل الثانى

ليس حزن (عماد ذكى) على رحيل أمه ، بل فزعه من عواقب غضبها عليه قبل رحيلها ، هو الذى دمر صلابته من جذورها ، وسلبه قوته تمامًا بأن مزق الشريان الأعظم الــذى كان يربطه بالحياة .. الأمل .. الأمل الذى كــان يجعل منه نسرًا لا يتهاون فى اقتناص النجاح متى نشر جناحيه .. تمزق هذا الشريان ، فانطفأ النور فى عينى النسر ، ولم يعد أمامه سوى ظلمات حالكة تعده بالتخبط والفشل والضياع إذا ما حــاول مبارحة مكانه .. إرتاع .. خارت قواه .. تهــاوى فى أيكه مذعورًا واهنًا منكمشًا كفرخ نحيل ضعيف كسير الجناح ضربه الرعب فى قلبه .

سبعة وثلاثون يومًا و(عماد ذكى) لا يبرح شقته ، تاركًا نفسه يغوص فى إحساسه بالضــياع ، قاطعًا صلته بالمكــان والزمان وبالحياة كلها .. إنه لا يبرح فراشه إلاّ إلى الحمّام ، أو لكى يقتات لقيمات معدودة لا تسمن ولا تغنى من جوع وبإلحاح ضاغط من (سوزى) ، ولا يبدل ثيابه المنزلية إلا حينما تتنتن برائحة عرقه ، ولا يحلق لحيته ، ولا يصفف شعره ، وفى جملته صار يبدو كمجاذيب الشوارع الذين يردمهم الوسخ ، ويتعصرهم الجوعُ والعطش ، وهم لا يشعرون ..

وقد زاره (هشام البكرى) و(يحيى إسلام) وجميع موظفى مجموعة (البكرى) فى اليوم التالى للجنازة لمواساته فإذا به ينفرد بــ (هشام البكرى) ويقدم له استقالته ، وكانت صدمة للرجل جعلته يتطلع إليه متسائلاً بمنتهى الدهشة :

ــ ما هذا يا عمنا ؟!

ــ استقالتى يا باشا .

ــ أعلم أنها استقالتك ، ولكن لمــاذا ؟!

ــ لظروف خاصة كما ذكرت فيها لسيادتك .

ــ وماذا تكون هذه الظروف الخاصة ؟! وفاة أمك ؟!

وانفلتت من (هشام البكرى) زومة تهكم ، ثم أردف بدهشة :

ــ جديدة هذه !

وانتكس رأس (عماد) :

ــ أرجوك يا باشا .

كاد (هشام البكرى) يضرب كفًا بكف :

— ترجونى ؟! ترجـونى فيم يا بنى ؟! أنـت عبيط ؟! يا بنى لو أن كل موظف استقال من عمله حزنًا على موت عزيز له لاستقال موظفو العالم جميعًا ، ولخربت الدنيا .

— يا (هشام) باشا ...

— لا (هشام) باشا ولا (هشام) أفندى .. واسمع يا أستاذ .. استقالتك مرفوضة ، وأقسم بالله لن أدخل بيتك هذا لا أنا ولا أحد من زملائك فى المجموعة حتى تعود إلى عملك ، ولو استغرق هذا عامًا كاملاً ..

وراح الرجل يمزق الاستقالة ، وهو يحدّق فى المحامى الشاب بمنتهى السخط والغضب ، حتى إذا ما قذف بها فوق الأرض ، استدار منصرفًا وهو يدمدم بمنتهى السخرية والتعجب :

— ما هـذه ؟! خيبة موديل 2008 ؟!

ومضى مصطحبًا موظفيه ، ولكنـه قبل أن يغـادر باب الشقة كان قد انفرد بـ (سوزى) ليقول لها بتأثر وحنان أبوى :

— واضح أن الأستاذ (عماد) كان مرتبطًا بالمرحومة بشكل غير طبيعى ، ربنا يعوّضه فيكِ .

وانصرف بتأثره ، بينما تلقّت (سوزى) كلماته على أنها تكليف نبيل لها بسرعة إخراج زوجها من أزمته ، فما كان منها إلا أنها أسرعت تفعل .. دخلت على زوجها الشاب بقهوته المضبوطة .. وضعتها فوق الكمودينو المجاور للفراش ، ثم جلست أمامه فوق الفراش تتأمله بنظرة مشفقة .. كان يجلس فى الفراش متكئًا بظهره على ظهر السرير النصف دائرى فى سكون أشبه بسكون الأموات ، تاركًا عينيه مسلطتين على الجدار المواجـه له ، وكـأنه يحدّق فى شاشة عرض تجـرى عليها مشاهد بائسة لا يراها سواه .. أشعلت له سيجارة من علبته الروثمان التى كانت مستقرة فوق الكومودينو ، وناولته فنجان القهوة ، ثم راحت تتصفح وجهه المُطفأ مليًا بنظرتها المشفقة وهو يرتشف من القهو ، ويأخـذ نفسًا من السيجارة ، حتى إذا ما عاد يسلّط عينيـه على الجـدار بادرته قائلة بابتسامة باهتة مُنتزعة من الأعماق :

— هل لى أن أصارحك بشىء عجيب يا عم الشباب ؟

لم يلتفت إليها ، ولم ينبس ببنت شفة ، فأردفت هى :

ــ بقدر ما أنا حزينة لحزنك وحالتك هذه بقدر ما أنا سعيدة .

كاد فنجان القهوة يسقط من يده لولا أنها أسرعت بأخذه منه وإعادته فوق الكومودينو ، بينما هو يحدق فيها متسائلاً بحدة ودهشة فكان جوابها :

ــ نعم يا متر .. أنا فى منتهى السعادة لحزنك هذا على ماما لأنه أكد لى أكثر وأكثر أن بداخلك قلب من أجمل قلوب البشر .. قلب كله حب ولا مكان فيه لغير الحب .

ضربه الذهول وهو يواصل تحديقه فيها لوهلة ، كاد بعدها ينفجر ضاحكًا فى جنون لولا أن عافيته المعدومة لم تعنه حتى على الابتسام .. هَمَّ بأن يشيح بوجهه عنها فإذا بعينيه تقعان على الجدار المواجه له مرة أخرى ، وإذا بذعر خفى غامض يضربه وكأن الجدار انقلب مرة أخرى شاشة عرض فاجأته بمشهد أفزعه .. أسرع يغرس السيجارة فى مَنْفَضَة السجائر المستقرة فوق الكومودينو ، ثم نزل بجسده كله فى الفراش ساحبًا غطاءه فوقه بالكامل ليختفى تحته تمامًا ، بينما (سوزى) تتأمله بقلب يتمزق لأجله .. ولم يكن هذا ســوى بداية مشــوار مرار لــ (سوزى)

مع (عماد) ، لقد ظنت أن انهياره هذا على غرابته لن يمتد لأكثر من أيام تُعد على أصابع اليدين ، فإذا بها تبلغ اليوم السابع والثلاثين والزوج العجيب يواصل انزلاقه من سيئ إلى أســوأ ، حتى تحول الأمر داخل المسكينة إلى لغز راح يضغط على أعصابها من ناحية وفزع راح يضغطها من الناحية الأخرى ، فكانت النتيجــة الطبيعية انفجارها فى وجهــه وهى تجذبه من فراشه بكل قواها ، صارخة فيه بمنتهى السخط ، وبعصبية أقرب منها إلى الجنون :

ــ قم .. قم يا (عماد) .. قم كلمنى .. قم فسر لى .. قم أخبرنى ما هذا الذى أنت فيه .. قم فسر لى هذا الذى لا أفهمه .. هــل هــذا حزن لفراق أمك ؟ لا .. مستحيل أن يكون هذا حزنًا أو حتى انهيارًا .. فماذا يكون إذن ؟! ماذا يكون ؟! هل هناك سر تخفيه عنى ؟ وماذا يكون ؟ ولماذا نفض كل من حولك أياديهم منك هكذا ؟ لقــد تسببت فى إذلالى لأول مرة فى عمرى بأن دفعتنى للتوسل إليهم كى يساعدونى فى إنقاذك فإذا بهم جميعًا أشد ذهولاً منى مما تفعله بنفسك .. (هشام البكرى) الرجل الحليم الحكيم أجابنى بأنه مصــدوم فيك ، ولا يعرف ماذا يفعل لك ،

و(يحيى أسلام) جاءك أكثـر مـن عشـر مرات وفى كل مرة ترفض لقاءه ، وبابا وماما أهنتهم أيضًا برفضك لقاءهم ، وأبوك الـذى أقعـده المـرض لم يجبنى سـوى بنظـرة حسـرة وكأنه يستعوض ربنا فيـك ، حتى (عـادل) شـقيقك الوحيد الذى ليس لك أخ سواه صدمنى بسخطه عليك .. فلِمَ كل هذا ؟! لِمَ تفعـل بنفسـك هـذا ؟ لِمَ جعلت مـن نفسك جيفـة يتأفف منه الجميع ؟ نعم أنت الآن لست سوى جيفة .. جيفـة نتنة ملعونة .. ملعونة ..

وانفلت جنون الفتاة من عقـاله ، فمضت تصرخ فيه بالدموع وهى تهزه بمنتهى السخط :

ـ الله يلعنك .. الله يلعنك .. الله يلعنك ..

ولم تدر الفتاة بما أحدثه هذا الدعاء .. لم تر صدمة زوجها المروعة على وجهه .. ولم تر انفجار جنونه فى عينيه .. لم تر تحول أنفاسه إلى ما يشبه حشرجات الموت .. لم تر صدره وهو يوشك الانفجار من شدة ارتفاعه وهبوطه .. لم تفق من صراخها فيه ودعائها عليه إلا على صفعته الهائلة على وجهها ، وهو يصرخ فيها بكل جنونه :

ـ اخرسى !

وهوت الزوجة الشابة فوق الفراش صارخة من الصفعة ، بينما تسمر هو فى مكانه مذهولاً من فعلته .. أول مرة يفعلها منذ زواجهما .. أول مرة يحدث بينهما هذا .. تسبه ويضربها .. سمعها تطلب منه الطلاق .. ضربه الفزع .. جحظت عيناه محدقًا فيها غير مصدق ما سمعه .. تحركت شفتاه بدون صوت مرددة الكلمة البغيضة بذهول طليق يكاد يذهب بعقله :

ـ « الطـلاق » ؟!

وبطوفان ذهـوله تحركت تسـاؤلاته بداخله كنصال حـادة مسمومة تشق لفائف مخه :

ـ « طـلاق » مـن ؟!

طلاق (سوزى) من (عماد) ؟!

(سوزى) ؟!

ما هذا ؟!



أهى أولى عواقب لعنة أمه ؟!

بهذه السرعة ؟!

بهذه السرعة بدأت لعنتكِ عملها يا أم (عماد) .. وإذا كانت البداية طلاق (سوزى) فكيف ستكون النهاية ؟

وماذا سيبقى له بعد فقدانه المليونى جنيه ـ ميراث (سوزى) فى حال وفاة والديها وميراثه هو فى حال وفاة (سوزى) ـ اللذين ينام ويقوم على الحلم باقتناصهما ؟!

ماذا سيبقى له ؟!

الضياع ولا شىء سوى الضياع ، فهل يترك نفسه لهذا ؟

هل يترك فزعه من غضب أمه عليه يفعل به هذا ؟

لا .. لا .. ملعون هذا الفزع .. ملعون هذا الخوف .. ملعون .. ملعون .. معلون .. وجد نفسه يختطف (سوزى) فى حضنه هاتفًا فى أذنها بصوت خفيض يتحشرج من شدة الانفعال :

ـ (سوزى) .. (سوزى) .. حبيبة العمدة .. قلب العمدة .. عقل العمدة .. شكرًا .. شكرًا لك يا حبيبتى .. شكرًا على هذا الذى فعلته بى .. على انتشالك لى من غيبوبتى .. أفقت يا (سوزى) ..

أفقت .. أفقت وأنت التى أفقتنى .. كـان لابد أن تفعلى بى هذا كى أخرج من هذه الغيبوبة اللعينة .. كان لابد من قسوتك هذه علىَّ .. قسوتك النبيلة الرحيمة .. نعم .. نعم .. ما أنبلها وما أرحمها قسوتك هذه .. قسوة الطبيب على مريضه كى يوقفه على قدميه .. كى ينهضه من وعكته .. كى يبعث فيه الإحساس بالحياة .. كى يدفع فيـه الإحسـاس بالقـوة .. ولقـد فعلتها يا طبيبتى .. انتشلتنى من غياهب جُب لعين لم يكن ينتظرنى فيه غير الهلاك .. انتشلتنى منه ونفضتنى من كل ما شربته فى قاعه من أحاسيس مُهلكة .. أحاسيس الخوف واليأس والضياع ، ورددت لى إحساسى بالحيـاة ، ورددت لى عافيتى وبصيرتى .. فشكرًا لكِ يا طبيبتى .. ويا حبيبتى .. شكرًا لكِ مـن القلب ، ومن العقل ، ومن الروح ، ومن كل كيانى .. شكرًا ..

★ ★ ★

بعاطفته الأبوية الجياشة ، وبسعادة غامرة تلقّى (هشام البكرى) (عماد ذكى) فى حضنه مرحبًا ومهنئًا :

ـ حمدًا لله على السلامة يا متر .

ـ الله يسلمك يا باشا .

وظل (هشام البكرى) قابضًا عليه فى حضنه لوهلة ، ثم تراجع للوراء خطوة محتضنًا كتفى المحامى الشاب بكفيه ، وراح يسرى على وجاهته وشياكته بنظرة باسمة ختمها بالنظر فى عينيه قائلاً بإعجاب واضح :

ـ هكذا الرجال لا تكسرهم عواصف .

ثم أردف بسعادته الغامرة :

ـ كنت واثقًا من عودتك أقوى مما كنت .

ـ البركة فى سيادتك يا باشا .

ـ البركة فى الله يا عم الأفوكاتو .

والتفت إلى (يحيى إسلام) الذى كان يقف إلى جوارهما يشاركهما سعادتهما متسائلاً :

ـ ما رأى نجمنا الجميل ؟

وكان رد (يحيى إسلام) بابتسامته المشرقة :

ـ الأستاذ (عماد) رجل قوى يا باشا .

وتلقى (عماد ذكى) فى حضنه مردفًا :

ـ حمدًا لله على السلامة يا متر .

ـ الله يسلمك يا نجم .

وبأبويته وسعادته دعاهما (هشام البكرى) إلى الجلوس :

ـ تفضـــلا .

جلس الشابان قبالة بعضهما بينما عاد هو إلى مقعده خلف مكتبه ، وضغط زر الديكتافون قائلاً لسكرتيرته :

ـ (سهام) .. من فضلك أرسلى (فرج) بثلاثة فناجين قهوة مضبوطة .

أجابته (سهام) من خلف مكتبها خارج الغرفة :

ـ أمرك يا أفندم .

ولكنها لم تغلق الديكتافون ، بل أسرعت تصله بموبايلها المستقر إلى جواره فوق مكتبها ، فى حين التفت (هشام البكرى) إلى (عماد ذكى) ، وراح يتأمله بنظرته الباسمة لوهلة قال له بعدهـــا :

ـ أريدك أن تعلم شيئًا مهمًّا يا عم الشاب ألا وهو أنك لم تغب عن بالى للحظة واحدة منذ أن خرجت من باب شقتك آخر مرة ، وأننى تصرفت معك تصرف أب مع ابنه من صلبه ، وأننى كنت أشتاق إلى عودتك هذه إلى حد أننى لم أكن أجلس فى مقعدى هذا لحظة إلاّ وتخيلتك وأنت تدخل علىّ من باب مكتبى هذا ، وأتلقاك فى حضنى .

وأطلت من عينى الرجل كل هالات مشاعره مؤكدة صدق كلماته الفواحة بكل روائح الحب فى حين فوجئ (عماد ذكى) بهذه المشاعر وروعتها ، وومضت الدهشة فى عينيه وعلى وجهه ، ومرت به لحظة صمت وهو يتأمل الرجل بدهشته هذه ، ثم كان رده فى شبه تلعثم :

ـ هذا كثير علىّ يا باشا .

وكان رد (هشام البكرى) وهو يهز رأسه نفيًا :

ـ لا .. ليس كثيرًا من أب على ابنه ..

ولم يملك (عماد ذكى) إلاّ أن ينهض من مقعده ويدور حول المكتب ، وينهض (هشام البكرى) متلقيه فى حضنه ومبادله القبلات ، بينما (يحيى إسلام) يتنحنح ، ويداعبهما قائلاً :

ـ بدأت أغار من المتر .

وكان رد (هشام البكرى) بتبسم حنون :

ـ إنه أخوك يا نجمنا الجميل .

ـ طبعًا يا باشا .

وعاد (هشام البكرى) و(عماد ذكى) كلٌّ إلى مقعده ، ودخل (فرج) الساعى بالقهوة ، ووضع أمام كل منهم فنجانه ، وصرفه (هشام البكرى) ، وناول (عماد ذكى) سيجارة ، وأشعلها له ، وأشعل سيجارة لنفسه ، وأخذ منها نفسًا طويلاً ، وأخذ رشفة من قهوته ، وأعاد الفنجان إلى مكانه فوق المكتب ، ثم نظر إلى المحامى الشاب طويلاً :

ـ فلندخل فى الشغل يا متر .

ـ تحت أمرك يا باشا .

استدار (هشام البكرى) ناحية خزينة مكتبه على يساره .. فتحها وأخرج منها ملفًّا ضخمًا .. أعـــاد إغلاق الخزينة ، وعاد ينظر إلى (عماد ذكى) مناوله الملف ، وهو يقول له :

ـ إليك هذا .

تطلع (عماد ذكى) إلى الملف متسائلاً :

ـ ماذ هذا السمين ؟!

ـ مستندات استجواب برلمانى .

ـ لمن ؟

ـ لواحد من وزرائنا المحترمين .

فوجئ (عماد ذكى) :

ـ وزير حكومى ؟!

ابتسم (هشام البكرى) مشفقًا :

ـ وهل لدينا وزراء معارضة يا متر ؟

ـ لا يا أفندم ولكن ...

ـ ولكن ماذا ؟

ـ سيادتك نائب من الحزب الوطنى .

ـ وماذا يعنى هذا ؟

ـ يعنى أن سيادتك نائب من الحزب الحاكم ، أى فى النهاية نائب حكومى ، فكيف يواجه نائب حكومى وزيرًا فى الحكومة ؟!

اختفت ابتسامة (هشام البكرى) :

ـ وماذا لو أضر هـــذا الوزير بمصلحة مـــن مصالح البـــلاد أو جار على حق من حقوق الشعب ؟ ثم هل كونى نائبًا من الحزب الحاكم يمنعنى هذا من مواجهة وزير فى الحكومة أو حتى رئيس الحكومة نفسه إذا ما أمسكت عليه خطأ يمس مصلحة البلاد أو الشعب ؟

ـ يا أفندم ما أعنيه هو أليس هذا دور المعارضة ؟

انفلتت هتفة (هشام البكرى) غاضبة مستنكرة :

ـ ماذا ؟! ماذا تقول يا أســـتاذ ؟! دور المعـــارضة ؟! لمـــاذا إن شـــاء الله ؟! هـــل المعارضة فقـــط هى الأمينة على البلاد والشـــعب ؟!

يا أستاذ .. يا أستاذ إذا كنت أنت المحامى الذى درست الدستور منذ أولى سنواتك فى كلية الحقوق تقول هذا فماذا تركت للرجل الأُمّى أو نصف المتعلم ؟ هذه مصيبة .. والله هذه هى مصيبتنا فى « مصر » لا فرق فيها بين الجامعى والأُمّى إلاَّ باللقب .. يا أستاذ .. يا حضرة المحامى النابغة .. جميعنا تحت قبة البرلمان ــ أغلبية ومعارضة ــ نواب عن الشعب .. جميعنا أقسمنا على الحفاظ على الدستور والوطن والشعب ، جميعنا علينا نفس الواجب فى مواجهة أى فساد أو ضرر يمس الوطن والشعب ، بل الأكثر من ذلك أن مسئولية نائب الحزب الحاكم تجاه هذا الواجب أكبر من مسئولية النائب المستقل أو المعارض لسبب عظيم جدًا وهو أن نائب الحزب الحاكم أشد حرصًا وغيرة على صــورة حزبه وحكومته ؛ لأنه يريدهما فى أحسن صــورة ، ولأنه هو نفسه جــزء من هذه الصورة ، ولذلك يوجعه أكثر كثيرًا من غيره أى مسلك يشوّه هذه الصورة ، ولو كان مسلك وزير أو حتى رئيس الوزراء نفسه .

وأمسك الرجل عن الكلام ، ولكن نظراته الغاضبة الصارمة لم تتزحح عن وجه المحامى الشــاب ، حتى إن الأخير ضربه الارتياع .والذهول .. هذه أول مرة يرى فيها هذا الوجه لرجل الأعمال الطيب الذى كان الحنان والابتسامة لا يغربان عن وجهه .. أسقط فى يده ، ولم يدر بما ينطق ، وكل ما استطاعه أنه ظل يتطلع إلى رجل الأعمال بمنتهى الارتباك والقلق ، ولم ينقذه سوى تدخُل (يحيى إسلام) بابتسامته ، ولهجته الرقيقة المهذبة :

ــ (هشام) باشا !

التفت إليه (هشام البكرى) بغضبه وصرامته ، فأسرع يقول له :

ــ الأستاذ (عماد) لا يقصد يا أفندم .

كاد (هشام البكرى) يجيب (يحيى إسلام) بأن الأستاذ (عماد) هذا نصَّب نفسه موجِّهًا له ، وأن توجيهه ليته جاء عن علم ، بل عن جهل جارح مقزز .. كاد الرجل يصرخ بها لولا أن حكمته وكبرياءه منعاه .. عاد بعينيه إلى (عماد ذكى) ، فأسرع الأخير يقول له بارتياعه وارتباكه :

ــ (هشام) باشا .. أنا آسف .

تفرّسه (هشام البكرى) بنظرة طويلة ، ثم كانت كلمته الأخيرة :

ـ قم بتلخيص محتوى هذه المستندات كلها فى أقل عدد من الورق ، ومن هذا الملخص قم بصياغة سؤال الاستجواب بطريقة مباشرة ، ودون لف أو دوران .

وكان رد (عماد ذكى) فورًا وفى طاعة :

ـ أمرك يا أفنــدم .. أمرك .

بينما سارعت (ســهام) بإغلاق الديكتافون ، ونزع سماعة الموبايل منه .

* * *

الفصل الثالث

منذ المرة الأولى التى وطأ فيها (عماد ذكى) بقدميه مكتب (هشام البكرى) لم يكره الأول هذا المكتب إلا اليوم .. كانت صدمته عنيفة بغضبة (هشام البكرى) على هذا النحو بسبب هذا الملف اللعين الذى فتــح باب المناقشة بينهما ، وجلب عليه كل هذا الغضب من الرجل الذى لم يسبق له أن شاهده يومًا دون ابتسامته .. وجد نفسه ينصت إلى ذلك الخاطر المفــزع الذى انتفض بداخله للمرة الثانية محاولاً إعادة ضربه فى مقتل .. أهذه ثانية عواقب لعنة أمه بعد أن كاد يفقــد (سوزى) فى المحاولة الأولى ؟ أن يخسر (هشام البكرى) الذى صار يشكّل الآن عمود حياته العملية .. أسرع يلتفت إلى رجل الأعمال فى فزع وهو مستغرق فى مكالمته التليفونية .. أطبــق عليــه فزعــه تمامًا فأسرع يطرق بعينيه إلى الملف المستقر فــوق المنضــدة التى تفصله عــن (يحيى إسلام) الذى لزم الصمت هو أيضًا فى انتظار انتهاء (هشام البكرى) من مكالمته التليفونية .. لحظات وأنهى رجل الأعمال مكالمته ، والتفت إليهما قائلاً وهو ينهض واقفًا :

ـ هيا بنا .

مضى بينهما مغـــادرًا الشركة ، حتى إذا ما خرجوا من بابها توقف ملتفتًا إلى (عماد ذكى) ليسأله :

ـ إلى أين وجهتك يا أستاذ ؟

على الفور أدرك (عماد ذكى) من طريقة السؤال أن رجل الأعمـــال يريد أن يتخلص مـــن صحبته الآن .. شعر بأن الأرض تحت قدميه تميد به من قوة الصدمة .. جاهد بكل عزمه كى يتماسك .. وبالكاد أجاب :

ـ إلى البيت يا أفندم .

تأمله (هشام البكرى) مليًا قارئًا ما يدور بداخله بعينيه الخبيرتين الذكيتين ، ثم إذا به يمد له يده بسلسلة ذهبية صغيرة بمفتاحين ، وهو يقول له :

ـ قُدْ بتمهل .

تناول (عماد ذكى) السلسلة منه من باب الأدب ، وهو يتساءل بغمـــه :

ـ أقود ماذا يا أفندم ؟

ـ هـــذه .

وأشار بسبابته اليمنى إلى سيارة « فيرنا » فضية جديدة تقف إلى جوار الرصيف ، فالتفت (عماد ذكى) إلى السيارة ملقيًا عليها نظرة بليدة غير مبالية ، ثم عاد ينظر إلى (هشام البكرى) متسائلاً بنفس البلادة والغم :

ـ ما هذه يا أفندم ؟

ـ سيارتك يا متر .

سقط سهم الله فوق رأس المحامى الشاب ، فسقطت حقيبته من يده على الأرض ، بينما تسمَّرت عيناه على وجه (هشام البكرى) ، وهو يغمغم متسائلاً :

ـ سيارتى ؟!

وكان رد (هشام البكرى) بعدما رفع الحقيبة من فوق الأرض بمنتهى التواضع :

ـ نعم يا متر .. سيارتك .

ـ سيارتى أنا ؟!



ـ نعم .. سيارتك أنت .

ـ كيف ؟

ـ هدية عودتك بالسلامة ، ومكافأتك على جديتك فى عملك معى طوال سنتين .

هنا فقط طارت بلادة (عماد ذكى) ، وعاد إليه انتباهه كاملاً ، فأدرك أن الأمر ليس مزحة من (هشام البكرى) ، ووجد نفسه يلتفت إلى السيارة بعينين جاحظتين ، وكأنه يريد أن يقبض عليها بعينيه ليتأكد أنها حقيقة لا سراب ، وما إن تأكد حتى كادت الفرحة تنفجر فى قلبه وفى عقله وفى كل كيانه كبركان عفى انفجر على حين غرة .. عاد يحدّق فى (هشام البكرى) بعينيه الجاحظتين المشعتين بالفرحـة والدهشـة ، فكـان رد الرجل بابتسامته الأبوية الحانية :

ـ مبروك يا متر .

التفت المتر إلى (يحيى إسلام) كأنه يستعين به على التأكد من الأمر ، فكان رد (يحيى إسلام) بابتسامة تفيض حبًا وفرحة : .

ـ مليون مبروك يا متر .

وهمَّ بأن يعانقـه مهنئًا ، ولكن (عماد ذكى) كان قد استدار سريعًا قافزًا فى حضن (هشام البكرى) ، معانقه بشدة ، وهو يقول له ودموعه تغالبه :

ـ قل لى يا باشا .. ما أنت ؟

ما أنت ؟

وكان رد (هشام البكرى) وهو يربت على ظهره بكل حنان :

ـ أبوك يا متر .. أبوك .

★ ★ ★

وكادت الفرحـة تذهب بعقل (سوزى) وهى تجلس إلى جوار زوجها الحبيب فى السيارة .. انطلق بها من « الشيخ زايد » إلى القاهرة .. طوال الطريق لم ترفع عينيها عنه وهو يقود السيارة بوجاهة ضاعفتها شياكته ووسامته .. توقف بها أمام بوابة فندق « سميراميس » .. شعور رائع تملكها وسايس الفندق يسارع بفتح باب السيارة لها مثلها مثل رواد الفنـدق من أولاد الذوات .. صحيح أنها واحدة منهم ، وإنها لطالما ارتادت كل فنادق القاهرة والجيـزة الكبرى بسيارات أفخم من هذه مع والديها وأقاربها وصديقاتها إلا أنها هـذه المرة يتملكها شعور رائع لم تحسه أبدًا

من قبل ، ذلك أنها الآن جاءت الــ « سميراميس » بسيارة جديدة شيك ملك لزوجها الحبيب .. زوجها الذى تزوجته وهو لا يملك رفاهية استخدام الميكروباص فى تنقلاته .. الذى طالما اضطرته الظروف إلى الوقوف بها فى الشوارع بالساعات ، فى لهيب الصيف تارة ، وفى صقيع الشتاء تارة أخرى انتظارًا لميكرباص يستقلانه .. الذى طالما صارع عشرات المنتظرين فى موقف « عبد المنعم رياض » كى يقتنص لهما مقعدين فى أتوبيس أو ميكروباص يعود بهما إلى مسكنهما فى « الشيخ زايد » .. لديها كل الحق الآن فى أن تطير مــن السعادة وهى تنزل من سيارتهما الجديدة بصحبة زوجها الوسيم الحبيب فى ساحة واحد من أفخم فنادق « مصر » .. وزاد من شعورها هذا جمالها الصارخ اللافــت للنظر ، وشياكة طاقمها الجديد الذى اشترته منذ ساعات فقط احتفالاً بهذه المناسبة الرائعة ـ بنطلونها الجينز الكُحلى المحكم المطرز بالخرز الفضى وباديها الأصفر الزاهى ـ وتسريحة الأســد التى تمنحها أروع هالات الجمــال ، ومكياجها البديع الذى يرسم ملامحها بمنتهى الروعة ، حتى حذاؤها الذهبى بدا بدقات كعبه العالى فوق أرض الفندق الرخامية المتلألئة وكأنه يتعمــد الإعــلان عن دوره فى إبراز هذا الجمال الذى يدير الرءوس .. مضت فى لوبى الفندق متأبطة ذراع (عماد) بفرحة ردتها عشر سنوات إلى الوراء ،

ولم يكن (عماد) أقل منها فرحة .. صعد بها إلى الرستوران المرمرى المطل على النيل بواجهاته الزجاجية .. اتجه بها إلى طاولة ملاصقة للنافذة الزجاجية المنخفضة كى تتمتع بمنظر النيل المتلألئ تحت الأضواء القمرية والذهبية للبنايات المرتفعة فوق الضفة الأخرى له والمراكب السياحية الراسية فوق صفحته .. سحب لها مقعدها بانحناءة خفيفة كملك يحتفى بمليكته ، وجلس قبالتها مبادرها بابتسامة رصينة :

ـ نورتى « سميراميس » و« جاردن سيتى » كلها يا عصفورة العمدة .

وجاءه رد (سوزى) بهمسة وابتسامة ونظرة من نار :

ـ إنه نورك يا نور عين العصفورة .

وجاءهما المترودوتيل فطلبــا عشاءهما ، وسرعــان ما جاء العشاء ، وإذا بعازف الكمان الذى كان يقود فريق الباند بمدخل الرستوران يتقــدم منهما حتى وقف بينهما مواصلاً عزف لحن أغنية « الهوى هوايا » للعندليب الأسمر ، فما كان من (سوزى) إلا أنها أمسكت بيــد (عمــاد) شادية له همسًا بكلمات الأغنية بمنتهى الرومانسية وكأنها كلماتهــا هى تهديها له من قلبها :

« الهوى هوايا ارسم صورتك فى يدى .. ع النسمة اللى تعدّى ..

ع الفجر أبو ضحكة وردى .. ع العمر اللى ورايا » .. ولم يملك (عماد) إلاّ أن يرد تحيتها بابتسامة قاتمة .. بدأت ابتسامته تتعتم بشىء مريع .. سواد قلبه .. أشار لها ببدء تناول العشاء .. بمنتهى الحب مدّت شوكتها إلى شفتيه بقطعة « سكالوب بانيه » .. أخذها منها فى فمــه ، وراح يلوكها وهـــو يغوص فى عينيها المبتهجتين بنظرة تساؤل عن مصيره الذى سيقوده إليه ضميره الأسود نحوها ..

★ ★ ★

بمنتهى الحيوية والابتهاج أغلقت (سوزى) باب الشقة ، وبرشاقتها الغزلانية راحت تنزل سلم العمارة ، وهى تتحدث فى موبايلها :

ــ حاضر يا حبيبى .. والله يا حبيبى كان نفسى تكون معايا ، وكان بابا وماما سيفرحان بك جدًّا ، لكن لا عليك يا حبيبى ، هما يعلمان بظروف عملك ، وأنا سأبلغهما سلامك .. حاضر يا عمدتى .. يا أجمل (عماد) فى الدنيا كلها .. حاضر يا حبيبى .. ها هو العصر يُؤذن ، وبمشيئة الله قبل العاشرة سأكون فى الشقة .. من عينىَّ يا حبيبى .. لا إله إلاّ الله ..

وأغلقت الموبايل وهى تمضى فوق الممر العشبى أمام العمارة حتى بلغت الطريق .. وقفت قبالة سنتر « الوجيه » تتطلع إلى قدوم

تاكسى أو ميكروباص ، وإذا بتاكسى يتوقف أمامها ، وسائقه يهتف من داخله :

ــ تاكسى يا باشا ؟!

انحنت قليلاً على نافذة السيارة لتجيب السائق ، فإذا بهتفتها تنفلت منها بمنتهى الدهشة والفرحة :

ــ عــادل !

ــ بشحمه ولحمه .

هكذا أجابها بخفة ظله وهو يفتح لها باب السيارة .. ركبت إلى جواره ، هاتفة بفرحتها :

ــ يا لها من مفاجأة !

وتحرك (عادل) بالسيارة ، بينما (سوزى) تسأله بشقاوتها المتوهّجة بالأنوثة :

ــ ماذا يا بنى ؟! ما الذى قطع قدمك عنا هكذا ؟! ألا تعلم بأننا ذبحنا الكلب الذى كان مربوطًا ببابنا وكان يخيفك ؟

ضحك (عادل) ، بينما استطردت هى :

ــ أية ريح طيبة قذفت بك علينا ؟

ــ زبون أتيت به إلى « الجومانة » .

ــ وطبعًا كنت ستغادر « زايد » دون أن تمر علينا .

ــ فعلاً كان سيحدث ذلك لسبب قوى جدًّا .

ــ وما هو ذا ؟

ــ موعد لإجراء تحليل شامل فى المهندسين .

ــ تحليل ؟! لمـــاذا ؟!

ــ هذا الشهر أصابنى دوار ثلاث مرات ، فذهبت إلى الطبيب ، وكان رأيه إجراء تحليل شامل لمعرفة السبب .

قطبت (سوزى) جبينها مرددة :

ــ دوار ؟! تصدق أننى أنا أيضًا أشعر به منذ شهور ، وقد زاد علىَّ هذا الشهر تحديدًا .

ــ ولماذا لم تستشيرى طبيبك .

ــ لأننى كنت أفسر الأمر على أنه إجهاد ، وليس أكثر .

ابتسم (عادل) :

ــ هذا أحد عيوبنا نحن المصريين .. الفتوى حتى فى صحتنا .

ــ لماذا تقول هذا يا عم الأوروبى ؟

ــ لأنه كان يجب عليكِ استشارة الطبيب من ثانى أو ثالث مرة على الأكثر .

ــ نحن فيها .

ــ إذن ما رأيك فى اختصار الوقت ؟

ــ تقصد نجرى التحاليل أولاً ، ثم نعرضها على الطبيب .

ــ نعم .. والآن .

فوجئت (سوزى) :

ــ الآن ؟!

وأردفت مبتسمة :

ــ أنت تمزح .

ــ لا يا عصفور .. أنا أتكلم جد .



ــ جـد ؟! جد ماذا يا بنى ؟ أولاً بابا وماما فى انتظـارى الآن .. ثانيًا لابـد من استئذان زوجى حبيبى .. ثالثًا التحاليل الطبية لابد أن يسبقها صيام .

وجاءها رد (عادل) :

ــ أولاً التحاليل لن تستغرق نصف ساعة ، أى أنها لن تؤخرك كثيرًا على بابا وماما .. ثانيًا أنا سـوف أوصلك إليهما بالتاكسى ، أى سأعوض لك هذه النصف ساعة .. ثالثًا (عماد) باشا لن يغضب عندما يعلم أنك ذهبتى معى .. رابعًا متى تناولت آخر طعام اليوم ؟

ــ من ثلاث ساعات تقريبًا .

ــ وهى تكفى لإجراء التحاليل .

ولم تملك (سوزى) إلاّ أن تبتسم معلّقة :

ــ يا له من تفنيد جميل .

ــ والأجمل منـه هـو أنك لن تدفعى مليمًا واحدًا فى حزمة التحاليل هذه .

دُهشت (سوزى) :

ــ وكيف هذا ؟

ــ لى فى حسابات هذا المعمل ألفا جنيـه أجر تحاليل شاملة كنت سأجريها لوالدتى الله يرحمها قبل وفاتها ولم يمكّنها الأجل ، ورفضت إدارة المعمل ردها لى نقـدًا على أن أجرى بها تحاليلاً لأى مريض من طرفى فى أى وقت ، وطبعًا يا عصفورتنا اللذيذة ليس من العقل أن تضيّعى فرصة محترمة كهذه .

ثم إذا به يتحوّل إلى طفل كبير مضحك ، وهو يردف لها :

ــ ثم بصراحة ، ومن الآخر يا ماما (سوزى) طول عمرى أخاف من ثلاثة أشياء : العيادات والحقن والنساء .

فوجئت (سوزى) :

ــ هذا يعنى أنك خائف منى .

أسرع يهتف بها :



ــ يا ماما (سوزى) أخاف من النساء .. النساااااء وليس منك .

وكان رد (سوزى) ، وهى تهوى بحقيبة يدها فوق رأسه :

ــ اخرس يا متخلف ! اخرس وامض بنا إلى المعمل .

★ ★ ★

الفصل الرابع

ــ تفضل يا باشا .. تفضل .

قالها (يحيى إسلام) لــ (هشام البكرى) بمنتهى الفرحة والحفاوة وهو يشير له بالدخول ، وما إن خطا الأخير بقدميه داخل الشقة حتى فوجئ أمامه بــ (فاطمة) فى مقعدها المتحرك تستقبله بابتسامة براقة تضىء وجهها كله الذى بدا فى الحجاب الأبيض الشاهى من فرط ضيائه وحُسنه وعذوبته وكأنه البدر فى تمامه ، ومع ابتسامتها الساحرة هذه راحت تردد برصانة راقية مفعمة بالحميمية ، وهى تمد له يدها :

ــ أهلاً .. أهلاً .. أهلاً بجنتلمان « مصر » .

ولم يملك (هشام البكرى) إلا أن يسرع الخُطى إليها مصافحًا :

ــ أهلاً بك يا آخر ، وأجمل ، وأرق أميرات « مصر » .

ولم تستطع (ســارة) أن تتمالك ضحكتها المغردة المفعمة بالشقاوة والبراءة ، وهى تقف إلى جوار أمها هاتفة :

ـ الله !! جعلتمانى أشعر وكأن عجلة الزمن طارت بى إلى عصر « محمد على » باشا ، وحطت بى فى واحــد من أجمل قصوره بين أميرة القصر وضيفها الملكى .

وكان رد (هشام البكرى) عليها ، وهو يلتفت إليها مصافحًا بابتسامته المشرقة :

ـ والله هذه كلمات لا تخرج إلاّ من شفتى أميرة بنت أميرة .

وأخذ بكتفيها بين راحتى كفيه طابعًا قبلتين أبويتين فوق وجنتيها :

ـ إزيك يا كهرمانة جامعة « عين شمس » ؟

ـ الحمد لله يا أفندم .. إزى حضرتك أنت ؟

ـ الحمد لله .

وانتقل إلى (محمـــد) الواقف إلى جوارها معانقه بمنتهى الحرارة :

ـ « ميدو » .. إزيك يا حبيب قلبى ؟

ـ الله يسلمك يا أفندم .

ـ ما أخبار كلية الحقوق على يديك ؟

ـ فل يا باشا .. آخر فل .

وانتقل إلى (فارس) آخذه فى حضنه هاتفًا به :

ـ (فارس) حبيبى .

وكانت دعابه (فارس) بمنتهى الأدب :

ـ حضرتك ما زلت تتذكّر اسمى يا باشا ؟

وكان رد (هشام البكرى) ضاحكًا :

ـ وهل تُنسى الفوارس يا أجمل الفرسان ؟

وانحنى على (بلال) آخذه فى حضنه ومداعبه :

ـ يا أحلى اسم فى الوجود يا (بلال) .

وكان رد (بلال) ببراءته العذبة :

ـ وحضرتك أحْلى باشا فى الوجود يا عمو ..

انفلتت هتفة (هشام البكرى) وهو يضغطه فى حضنه بمنتهى الحب :



ــ الله ! الله ! الله ! هذه أحلى وأطعم كلمة « عمو » سمعتها فى حياتى .

واعتـــدل واقفًا ملتفتًا إلى (فاطمـــة) و(يحيى) ، قائلاً لهما بابتسامته :

ــ يا له من استقبال .

وكان رد (فاطمة) بامتنان صادق من قلبها :

ــ هذا أقل ما يليق برجل عظيم مثل سيادتك يا (هشام) باشا .. تفضل يا أفندم .. تفضل .

ومضوا جميعهم إلى داخل الريسبشن حيث جلسوا بالأنتريه الفخم فيما عدا (سارة) التى مضت إلى المطبخ ، و(بلال) الذى مضى إلى غرفته ، وارتد الأخير من الغرفة سريعًا ممسكًا بمصحف متوسط الحجم فى علبة قطيفة زرقاء ، ووقف أمام (هشام البكرى) مادًا له يده بالمصحف ، وهو يقول له بكل براءته :

ــ تفضل يا عمـــو .

وفوجئ (هشام البكرى) ، وأسرع يتناول المصحف منه ، وهو يتمتم بمنتهى الإجلال :

ــ بسم الله ..

وفتح العلبة ملقيًا نظرة إجلال على المصحف ، ثم رفع عينيه إلى الطفل بنظرة هاجت فيها كل فيوض الحب حتى كادت تدفع بالدموع من عينيه ، ولم يملك إلاّ أن يضع المصحف أمامه فوق المنضدة ، ثم يضم الطفل الأسمر الجميل فى حضنه ، مربتًا على ظهره بكل ما فى قلبه من أبوة وحب وحنان ، وهو يقول له :

ــ شكرًا يا حبيب عمو .. شكرًا من قلب عمو ..

ثم رفع وجه الطفل من حضنه بين راحتى كفيه ــ وراح ينظر فيه مبتسمًا ، ومستطردًا :

ــ هذه أجمل وأعظم هدية تلقيتها فى حياتى .

ــ شكرًا يا عمو .

ــ العفو يا حبيب قلبى .. تعال اجلس هنا إلى جوارى .

وجلس (بلال) إلى يمينه ، بينما عادت (سارة) من المطبخ بصينية عصير « موز » فريش .. ووضعتها فوق المنضدة ، ثم

مدت يدها بأولى كئوسها إلى (هشام البكرى) قائلة بابتسامتها المبهجة :

ـ تفضل يا أفندم .

تناول منها (هشام البكرى) الكأس مبتسمًا :

ـ شكرًا يا قمر .

ـ العفو يا أفندم .

ثم واصلت (سارة) توزيع الكئوس على أمها وإخوتها ، ثم مضت هى أيضًا. إلى غرفتها لتعود منها فى لحظات ممسكة بلوحة ملفوفة يقارب عرضها النصـــف متـــر ، وقفت بها أمام (هشام البكرى) قائلة له بابتسامتها المبهجة ، وهى تمد يدها بها له :

ـ تسمح سيادتك تقبل منى هذه الهدية المتواضعة :

وضع (هشام البكرى) كأسه أمامه فوق المنضدة ، ثم تناول منها اللوحة وبسطها ، وما كاد يفعل حتى كان الانبهار والدهشة ينفجران فى كل كيانه ، ويسطعان فى وجهه وفى عينيه ، وكانت هتفته المبهورة تنفلت منه :

ـ الله أكبر ..

وراح يتفرّس بنظراته المبهـــورة وجهـــه المرّسوم بالألوان الطبيعية وقد أوشك أن ينطق ويتحرك فـــوق الورق ، وملامحه الحية النابضة وكأنها ملامح من لحم ودم ، وعيناه المتطلعتان إلى المجهول بكل الفضـــول الإنسانى ، ونظراته البعيدة العميقة وقد عكست كل مكنونات نفسه من آمال وأحلام وآلام ، وعذابات ظنها انجرفت مع الأيام ، وأسرار ظنها حبيسة خزائن أعماقه ، و ... ، و ... ، و ... ، وراح الرجل مع هذه الروعة التى خطفت فؤاده ، ومرق فى خاطره التساؤل عن العبقرية البشرية التى بمقدورها تجسيد كل هذا وتنبيضه على هذا النحو .. ووجد نفسه يهتف فى أعماقه .. يا الله !!! هل تبلغ هبات الله للبعض من البشر هذا الحد البعيد من العبقرية ؟! هَمَّ بأن يسأل الفتاة التى كانت قد جلست قبالته إلى جوار (يحيى) عن صاحب هذه العبقرية لولا أنه لمح توقيعها على اللوحة .. ضربته المفاجأة .. رفع وجهه إليها متسائلاً بحجم دهشته :

ـ أنت التى رسمتها ؟!

ـ نعم يا أفندم .



وانبرى (يحيى) قائلاً له وهو ينظر إليها بمنتهى الإعجاب :

ـ (سارة) يا باشا فنانة كلية الآداب ، وأقامت بها معرضين للوحاتها .

وكان رد (هشام البكرى) بجدية ، وهو يحلق بنظرات الإعجاب على وجهها :

ـ وبمشيئة الله ستكون فنانة « مصر » كلها .

ومضى يحلَق بنظراته المبهورة على وجهها لوهلة ، ثم أردف قائلاً لها :

ـ خذى الأمر بجدية وأنا لن أتركك حتى تصيرى فنانة عظيمة ملء السمع والبصر .

انتفضت (سارة) من الفرحة :

ـ هذا وعد يا باشا ؟

ـ وعد يا قمر .. وعد .

قفزت إليه طابعة قبلتين حميميتين على وجنتيه ، ثم أمسكت بكلتا يديه قائلة له :

ـ لا أدرى كيف أشكر سيادتك .

وكان رده بامتنان صادق من قلبه :

ـ بل أنا الذى لا أدرى كيف أشكركم يا بنتى على هـذه السعادة التى وهبتموها لى بحبكم هذا ..

ومضى يدور بعينيه الممتنتين على وجوه إخوتها وأمها الساطعة بالسعادة والبهجة ، وهو يستطرد قائلاً :

ـ أنتم أجمل ناس صادفتهم فى حياتى ، وحقيقى .. حقيقى .. أنتم أعظم ما كسبته فى حياتى ..

وتوقف بعينيه على وجه (فاطمة) وقد أطل منهما إحساسه الصـادق الهائج فى وجدانه ، وتلقَت السيدة الجميلة إحساسه بكامل إحساسها ، فخفـق قلبهـا بخفقات شهية لم تحسها منذ أولى سنوات بكارة قلبهـا .. سرت حُمرة الخجل فى وجنتيها ، واضطربت نظراتها ، فأسرعت تغض البصر فى حياء عذرى ساحر ردها إلى ليالى صباها الخوالى .. يظل قلب المرأة تواقًا ومتأهبًا للتحليق بجناحيه متى مسه شعاع حب صادق ولو كانت تخوض لحظة فراق العمر .. انتبه الرجل لما فعله بملاكه الذى رده إليه الزمن بعد فراق مرير ، فأسرع يداوى الأمر بابتسامة تحمل اعتذارًا من

قلبه ، ثم حرك عينيــه على بقيــة الوجوه ، وهو يستطرد قائلاً بابتسامته :

ـ كدت أنسى السبب الذى دفعنى لأن أفرض نفسى عليكم بهذه الزيارة .

وعاد ينظر إلى (فاطمة) .. مردفًا بكل احترام :

ـ مدام (فاطمة) .. مع اعتذارى الشديد لحضرتك أنا سمحت لنفسى بمناقشة نجمنا الجميل (يحيى) فى مشكلة ساقيك ، وقد فهمت منه أنها مشكلة قابلة للشفاء بالتدخل الجراحى .

وكان رد (فاطمة) بنفس راضية :

ـ الحمد لله على كل حال يا (هشام) باشا .

ـ طبعًا الحمد لله يا ست الكل .

وتأملها مبتسمًا لوهلة ، ثم أردف قائلاً :

ـ يوم الأحد القادم لدينا مشوار إلى مستشفى « دار الفؤاد » ، وربنا يقدم ما فيه الخير ..

★ ★ ★

بكل بهائه ووجاهته ، وبإطلالته الساحرة التى تأسر القلوب ، وبسعادة عجيبــة غامرة فاضت على وجهـــه وفى نبرته أطل (يحيى إسلام) على مشاهديه من شاشة التليفزيون ، مستهلاً الحلقة الثالثة من برنامجه « الأمل » بقوله :

ـ أعزائى المشاهدين ..

مساء الخير .

مساء الحب .

مساء الجمال .

مساء الأمـــل .

الأمل الذى ما زال معنا ، وسيظل معنا ، لا يفارقنا ولا نفارقه ، لأنه لا معنى ولا قيمة لحياتنا من دونه ..

الأمل الذى يقودنا إلى كل ما نشتهيه ولو كان بعيدًا بُعد الشمس ..

الأمل الذى يخرج بنا من جحيم المحن ..

الأمل الذى أكـــد لنا العلم ممثلاً فى « نظرية الجذب » حتمية تحققـــه ..

وأكدت لنا كل الأديان السماوية حتمية تحققه ..

وأكد لنا الدين الإسلامى على وجه الخصوص حتمية تحققه ..

وفى الحلقة السابقة من برنامجنا قدمنا لحضراتكم مثالاً حيًا لهذا .. قصة الأخت القعيدة التى ظلت متمسكة بأملها فى المولى (عز وجل) أن يعيد الحياة إلى ساقيها الميتتين إلى أن فوجئت بنفسها فى لحظة فارقة تقفز من فوق مقعدها المتحرك ، وتنطلق جريًا على قدميها ..

وفى حلقتنا اليوم سوف نقدم لكم مثالاً حيًا ثانيًا .. مثال يفوق سابقه تأكيدًا على حتمية تحقق الأمل لمن يتمسك به .. ماسح أحذية شاب يجوب الأرض بصندوق ورنيشه الذى ورثه عن أبيه بحثًا عن قوت أمه القعيدة وإخوته الأربعة ، وبحثًا عن ثمن دواء أمه ، ومصروفات إخوته الدراسية ، ومصروفات دراسته هو نفسه حيث إنه كان ــ ولا يزال ــ طالبًا جامعيًا بإحدى كليات القمة ، رغم أنه كان يسكن بأمه وإخوته جُحرًا من جحور الأحياء العشوائية .. ويظل ماسح الأحذية الجامعى مواصلاً سعيه هذا واجتهاده دون أن يفقد أمله فى الله للحظة واحدة حتى يُفاجأ ذات

ليلة بيد قوية حانية تمتد له ، وتنتشله هو وأمه وإخوته من هذا البؤس المريع إلى نعيم لم يرد لهم يومًا فى خيال !!

كيف حدث هذا ؟

ومن يكون ماسح الأحذية الجامعى هذا ؟

ومن يكون صاحب اليد القوية الحانية التى فعلت به وبأسرته هذا ؟

هذا هو ما سنعرفه فى حلقتنا اليوم ...

انتظرونا بعد الفاصل ..

★ ★ ★

وكأن حجــرًا من حجــارة جهنم سقط فــوق رأس (هشام البكرى) انتفض واقفًا من مقعده أمام التليفزيون فى الفيلا ، صارخًا بغضب مروع ، وبعصبية أقرب إلى الجنون :

ــ غبى .. غبى ..

ثم راح يتلفّت يمينًا ويسارًا بعصبيته وبمنتهى الحيرة حتى طرأت له فكرة ، فأسرع يختطف موبايله من جيبه ، ويطلب (يحيى

إسلام) فى القناة الفضائية ، وإذا بموبايله مغلق .. أسرع يطلب صاحب القناة (خيرى سعد الدين) ، فإذا بموبايله هو أيضًا مغلق .. جُن جنونه ..

وفى شقة (عماد ذكى) انتفضت (سوزى) واقفة وهى تحدّق فى شاشة التلفزيون مغمغمة بمنتهى الفزع والمرارة :

ـ لماذا يا (يحيى) ؟

لمــــاذا ؟

وفوجئ (عمـــاد ذكى) الذى كان يجلس إلى جوارها يشاركها مشاهدة البرنامج ، وانبرى يسألها بمنتهى الدهشة :

ـ ماذا بك يا (سوزى) ؟!

وبدت (سوزى) وكأنها لم تسمعه ، وراحت تدور حول نفسها بمنتهى العصبية والحيرة حتى فوجئت بــ (عماد) ينتفض واقفًا ، ويمسك بها متسائلاً فى عصبية ودهشة :

ـ (سوزى) !

(سوزى) !

ما الحكاية ؟!

وتسمرت (سوزى) بين يديه ، وتسمرت عيناها على وجهه دون أن تنبس ببنت شفة ، بينما عقلها يصرخ فى داخلها بمنتهى الفزع :

ـ الآن ستعرف يا (عماد) أن ماسح الأحذية الذى حكيت لك كيف أنقذنى من الاغتصاب منذ ما يقرب مــن ثلاث سنوات هو نفسه (يحيى إسلام) ، وطبعًا ستتهمنى بأننى أخفيت ذلك عنك لوجود علاقة ما بينى وبينه ، وستجعل منها مصيبة ..

وعادت تصرخ بسؤالها الأول فى أعماقها بمنتهى المرارة :

ـ لماذا يا (يحيى) ؟

لمــــاذا ؟

وفى شقة (يحيى إسلام) نفسه ضربت الصدمة أمه وإخوته وهم يجلسون أمام جهاز التليفزيون يشاهدون البرنامج ، ووجدت (سارة) نفسها تغمغم بمنتهى الإحباط والمرارة :

ـ ما هذا يا (يحيى) ؟!

ما هذا ؟!

كيف خانك ذكاؤك ؟

ألم يخطر ببالك كيف ستتحول نظرة جيراننا الآن إلينا عندما يعلمون بظروفنا التى كانت ؟

وراح (محمد) يهز رأسه بمنتهى الإحباط مرددًا :

ــ حسبتها خطأ يا (يحيى) .. حسبتها خطأ ..

وانتفض (فارس) واقفًا صائحًا بمنتهى الغضب :

ــ لن أذهب إلى المدرسة .. لن أذهب ..

والتفتت إليه أمه من فوق مقعدها :

ــ اهدأ يا (فارس) يا حبيبى ! اهـــدأ !

وكان رد (فارس) عليها بعصبية أشد :

ــ أهـــدأ ؟!

كيف أهدأ يا ماما ؟!

كيف ؟!

أبعد أن كان طلبة المدرسة جميعهم ومدرسوها والعاملون بها يحسدوننى لأننى شقيق المذيع اللامع الجميل يعايروننى بأصله ، وبأنه فى الأصل لم يكن سوى زبال ؟ كيف يا ماما ؟ كيف ؟

ولم تملك (فاطمة) إلاّ أن تنكس رأسها مرددة بمنتهى الأسى :

ــ لا حول ولا قوة إلا بالله .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

ثم رفعت وجهها إلى السماء مرددة وكأنها تستغيث بها :

ــ لطفك يا رب .. لطفك يا كريم ..

وفى هذه اللحظات كان (هشام البكرى) ينطلق صوب القناة الفضائية بسيارته « المرسيدس » ، وقد بدا فى قيادته للسيارة وكأنه أصـــيب بمس شيطانى .. انطلق بأقصى سرعة لا توقفه إشارة ولا تقاطع ، بينما جلس إلى جـــواره شاب مهندم فى العشرينيات من عمره يكاد يتوقف قلبـــه من طريقـــة قيادة رجل الأعمال الذى يغلى ن العصبية .. وفوجئ (خيرى سعد الدين) و(يحيى إسلام) والعاملون بالقناة بـــ (هشام البكرى) يقتحم

عليهم المبنى وفى يده الشاب ، قائلاً لهم وكل عروق وجهه تنتفض من الانفعال :

ـ أقدم لكم الأستاذ (شريف مرزوق) .. ماسح الأحذية الشاب بطل حلقة اليوم ..

ولم يفهم أحد من الواقفين شيئًا ، فما كان من (هشام البكرى) إلاّ أنه دنا من (يحيى إسلام) حتى كاد يلتصق به ، وغرس نظراته النـــارية الغاضبة فى عينيه ، ثم أردف مخاطبًا الجميع وهو ما زال ممسكًا بيد الشاب :

ـ الأستاذ (شريف مرزوق) موظف معنا فى المؤسسة ، وقد فكر فى التراجع عن الظهور فى البرنامج لأسباب شخصية ، فلم يكن أمامى إلاّ إقناعه بعدم التراجع ، وإحضاره بنفسى إلى هنا ..

وهنا أدرك (يحيى إســـلام) و(خيرى سعد الدين) ما وراء تصرف (هشام) باشا ، فانفلت اعتراض الثانى منه بعفوية :

ـ كيف هذا يا (هشام) باشا ، وقد اتفق معى الأستاذ (يحيى إسلام) على طرح تجربته الذاتية فى هذه الحلقة ؟

والتفت إلى (يحيى إسلام) مستعينًا برده ، فكان رده فعلاً على (هشام البكرى) :

ـ نعم يا (هشام) باشا .. هذا صحيح .

فما كان من (هشام البكرى) إلاّ أنه عاد بعينيه إلى (يحيى إسلام) غارسًا نظراته النارية فى عينيه وقد ومضت بجبروت مريع ، وهو يسأله بلهجة أشد جبروتًا :

ـ ومن منا يعرف الصحيح يا أستاذ أنا أم أنت ؟

وفوجئ (يحيى إسلام) بهذا الجبروت من أبيه الروحى الذى لم يسبق أن رأى منه سوى كل رقـــة وحنان ، وأسرع يغض البصر بمنتهى الارتبـــاك دون أن ينبس ببنت شـــفة ، فالتفت (هشام البكرى) إلى (خيرى سعد الدين) مردفًا بكل جبروته وصرامته :

ـ هى كلمة يا (خيرى) باشا .. إما أن يكون الأستاذ (شريف) بطل هذه الحلقة بدلاً من الأستاذ (يحيى) وإما أن تُفسَخ كل التعاقدات التى بينى وبين القناة ..

وفوجئ (خيرى سعد الدين) ، وضربه الذعر ، وانفلتت هتفته :

ـ إلى هذا الحد يا (هشام) باشا ؟

ـ وأكثر يا (خيرى) باشا .

وأسقط فى يد (خيرى سعد الدين) ، ولم يملك سوى أن يلتفت (يحيى إسلام) قائلاً فى استسلام :

ـ خذ الأستاذ (شريف) وقدم بقية الحلقة على الهواء ..

وفوجئ (يحيى إسلام) وانفلتت كلمته :

ـ ولكن ...

وكان رد (هشام البكرى) بجبروته المريع :

ـ هيا يا أستاذ اسمع الكلام !

ولم يملك (يحيى إسلام) إلاَّ الطاعة ، وهَمَّ بأن يمضى بالشاب ، فإذا بـــ (خيرى سعد الدين) يسأل الشاب :

ـ ماذا تعمل يا أستاذ (شريف) ؟

وجاءه الرد من (هشام البكرى) :

ـ كومبارس .. كومبارس أتيت به توًّا من مكتب ريجسير .

★ ★ ★



الفصل الخامس

ــ لكل فارس كبوة ..

قالها (هشام البكرى) بابتسامته الصافية المشرقة لــ (يحيى إسلام) مقفلاً الحديث معه فى موضوع حلقة البرنامج التى كادت تتحول إلى كارثة ، وهو يغادر معه مبنى القناة قاصدين سيارته الجيب الــ « مرسيدس » الواقفة أمام المبنى ، وما إن سمعها المذيع الشاب ، ورأى ابتسامة أبيه الروحى المشرقة تسطع فى وجهه حتى انفجرت فرحته طاغية تغمر كل كيانه ، وانفلتت هتفته بمنتهى العفوية والبراءة :

ــ سامحتنى يا بابا ؟!

كاد قلب (هشام البكرى) يتوقف لكلمـــة « بابا » ، ووجد نفسه يتوقــف فى مكانه متلفتًا إلى الفتى الجميــل بنظرة تأمل مفعمة بالحب ، ثم كان جوابه بابتسامة مشربة بالحنو :

ــ قلب الأب يا أجمل ابن .

وأخذه فى حضنه ، فلم يملك (يحيى إسلام) إلاّ أن يقول من قلبه :

ــ بل سيادتك أجمل أب فى الدنيا .

ربت (هشام البكرى) على ظهره ممتنًا وهو يضغطه أكثر فى حضنه ، ثم قال له :

ــ هيا بنا !

وركب الاثنان السيارة ، وتحرك بها (هشام البكرى) ، ولكنه ما لبث أن اضطر للتوقف فى أول تقاطع صادفهما حتى يخلو الطريق العرضى ، وإذا بالاثنين يُفاجئان بفتاة عشرينية العمر رائعة الجمال تقف بسيارتها الــ « هونداى » الحمراء إلى يمينهما ، تهتف بفرحة طاغية من مقعدها أمام مقود السيارة :

ــ أستاذ (يحيى) !!

التفت إليها (يحيى إسلام) بعفوية ، فأسرعت تردف بفرحتها :

ــ هـــاى ..

وقبل أن يجيبها (يحيى إسلام) كانت قد قفزت من سيارتها كغزال فاتن طليق ، وأخذت بيده مصافحة ، ومستطردة بمنتهى الجــرأة :

ـ اسمى (هيفاء) ، ومتابعاك من أول حلقة فى « الأمل » .. بجد برنامج حكاية ، وأنا باموت فيه ، وباموت فيك أنت أيضًا ..

وفى حركة خاطفة وضعت موبايلها فى يد (هشام البكرى) ، هاتفة به :

ـ ممكن صورة يا كبير ؟

وأطبقت بشفتيها الكهرمانيتين البضتين الدافئتين على خد (يحيى إسلام) ، فلم يملك (هشام البكرى) إلاّ التنفيذ ، وما إن التقط المنظر حتى كانت الفتـاة تسرع باختطـاف الموبايل مـن يـده متأملة الصـورة بعينيها الخضراوين المتوهجتين بالشـقاوة ، ثم كانت هتفتهـا فى (يحيى إسلام) بافتنان :

ـ بجد .. بجد .. أنت مُز آخر حاجة .

ومرة أخرى أطبقت بشفتيها الدافئتين على خده ، واضعة قبلة ساخنة فوقها ، ارتدت بعدها قفزًا أمام مقود سيارتها هى تلوّح بيدها لـ (يحيى إسلام) ، هاتفة :

ـ بـاى ..

وانطلقت بسيارتها ، بينما (يحيى إسلام) و (هشام البكرى) يشيعانها بنظراتهما المشحونة بالدهشة ، حتى إذا ما اختفت عن عيونهما فى أول شارع جانبى صادفها التفت الاثنان إلى بعضهما متبادلين نظـرة دهشـة ، بادر بعدها (هشام البكرى) (يحيى إسلام) قائلاً فى تبسم جميل :

ـ بدون تعليق .

وكان رد (يحيى إسلام) بابتسامته الحلوة أن مال على خده طابعًا قبلتين حميميتين ، أعقبهما بقوله :

ـ قبلتها وقبلة فوقها من عندى .

ولم يملك (هشام البكرى) إلاّ أن يبتسم قائلاً بمنتهى الحب :

ـ (أصيل) يا نجم .

★ ★ ★

فى نفس اللحظات ، وفوق كوبرى 6 أكتوبر كان هناك منظر آخر ينضح بمشاعر مغايرة تمامًا .. كانت السيارات مكدسة فى نهرى الطريق بسبب الاختناق المرورى المزمن فوق الكوبرى العملاق ، وكان (عادل ذكى) يجلس إلى مقود التاكسى مجهدًا إلى حـد يثير الشـفقة فى انتظـار تحـرك طريقه إلى ميدان

« رمسيس » ، وإذا بزوجته (عزة) التى تجلس إلى جواره تتمتم بآيات من القرآن الكريم تقطع تمتمتها ، وتسأله فى دهشة :

ـ أليس هذا هو (عماد) ؟

التفت (عادل) إلى حيث تشير فإذا بـ (عماد) جالسًا أمام مقود سيارته بالجانب المعاكس من الطريق .. دقق النظر فيه ، ثم أجابها :

ـ هـــو .

ـ وسيارة من هذه ؟

ـ لا أعـــرف .

وهمَّ بأن يشيح عنه بعينيه ، ولكنه لم يستطع ، فكسطح ماء نهر ساكن أُلقى فيه بحجر فجأة تحركت بداخله مشاعر إنسانية متباينة .. أخوّة وحنين ورواسب حب وحسرة وسخط ودهشة وألم ، وكانت النتيجة أن شعر بآهة كبيرة تعض قلبه جعلت عينيه تطفحان مرارة ثقيلة وهو يتأمل شقيقه غير المنتبه له مسطّرًا بنظراته الممرورة الملخص المرير لمشوار أخوتهما « هكذا هو حالنا من

يومنا يابن أمى وأبى نمضى فى اتجاهين معاكسين » ، وهز رأسه متحسرًا ، فى حين التفتت إليه (عزة) قائلة :

ـ بعد إذنك يا حبيبى .

ونزلت من السيارة قاصدة (عماد) الذى فوجئ بها أمامه تحييه برصانة حزينة :

ـ مساء الخير يا أستاذ (عماد) .

أسرع يقفز من السيارة ليصافحها بدهشته :

ـ أهلاً يا أم (مى) .. إزيك ؟!

ـ الحمد لله .

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟!

أشارت بعينيها إلى (عادل) الذى كان يجلس فى مقعده متطلعًا إلى (عماد) بمرارته المتناهية ، فتجهّم وجه الأخير ، وعاد يسأل (عزة) :

ـ إزيك ؟ وإزى (مى) ؟

ـ الحمد لله .



وتفرّست وجهه بنظرة مرارة ، ثم أردفت معاتبه بكل مرارتها :

ــ أليس هناك من هو أحق بالسؤال عنه منى ومن (مى) ؟

فوجئ بعتابها وارتبك :

ــ بابا ؟! إزيه ؟

ــ ألم يخطر فى بالك أن تُلقى عليه نظرة ؟

أرسل بنظرة غضب إلى (عادل) ، فكان ردها :

ــ لا (عادل) ولا غيره يستطيع منعك من زيارة أبيك .

وعادت تتأمله بنظرتها المستنكرة لوهلة ، ثم أردفت :

ــ لا تكرر الخطأ يا أستاذ (عماد) .. أبوك رجل مسن ، ووفاة أمك كسر ظهره ، وليس من الرحمة أبدًا أن يجافيه فى أيامه الصعبة هذه ابن من ابنين أفنى عمره فى تربيتهما .

وترددت قليلاً ، ثم أردفت قائلة :

ــ إنه والحمـــد لله لا يحتاج إلى شىء ، فهو يقبض معاشه ، و(عادل) يضعه فى عينيه ، ولكن مائة جنيه من يدك فى يده ، وقبلة على يده كانا سيفعلان به أكثر مما يستطيعه ألف طبيب .

انتفض الأستاذ الوجيه الأنيق ، ولم يدر بِما يجيب ، فلم تملك زوجة أخيه إلاّ أن تنهيها قائلة ، وهى تمسح دموعها :

ــ تصبح على خير يا .... أستاذ .

وهمت بأن تستدير منصرفة ، ولكنها وجدت نفسها تلتفت إليه مرة أخرى ، قائلة له ، وهى تشير بعينيها إلى السيارة :

ــ مبروك .

واستدارت عائدة إلى سيارة زوجها ، وما كادت تجلس فى مقعدها حتى انفتح الطريق ، فتحرك الشقيقان بسيارتيهما .. كلٌ فى طريقه ..

★ ★ ★

تقلّب (يحيى إسلام) فى فراشه من هزات الأيادى فى جسده ، وعلى أصوات خفيضة مألوفة تناديه فى مرح :

ــ يويو .. يويو .. يويو ..

ومع تواصل النداءات وهزات الأيادى فتح عينيه ، وهو لا يدرك إذا ما كان حلم أم إنها نداءات وهزات حقيقية ، ولكنه ما لبث أن تنبّـــه تمامًا ليكتشف حصـــار إخوته الأربعـــة له وهم يتسابقون فى إيقاظه .. ابتسم قائلاً لهم فى دهشة :

ـ مساء الفل يا أشرار (فاطمة) .

وكان ردهم فى نفس واحد بمنتهى الابتهاج والشقاوة وكأنهم كورال يغنى :

ـ مساء الورد .. مساء العسل .. مساء الشقاوة واللذاذة والروشنة يا عمنا يويو ..

ـ كم الساعة الآن ؟

وجاءه ردُهم معًا بنفس الشقاوة :

ـ 7 مساءً .

انتبه إلى تجمعهم معًا ، ونطقهم معًا ، وحصارهم له فتحركت دهشته :

ـ ماذا بكم يا أشرار (فاطمة) ؟!

أجابه (فارس) بجدية مفتعلة ممسكًا بضحكته :

ـ قم يا عم (يويو) لترى ما حدث فى بيتنا !

اشتدت دهشته ، ونهض جالسًا .

ـ ماذا حدث يا عم (فارس) ؟!

وجاءه الجواب من (محمد) :

ـ زيارة من كوكب « فينوس » يا عم « فلانتينو » .

ابتسم ساخرًا :

ـ أنا الفلانتينو يا آسر قلوب العذارى ؟!

ـ من شابة أخاه الكبير ما ظلم يا عمنا .

التفت إلى (سارة) :

ـ ماذا هناك يا زعيمة الأشرار ؟

أجابته غامزة له بطرف عينها :

ـ مُزة سبع نجوم يا صاحبى .

ـ ما بها ؟

ـ تنتظر جنابك فى الريسبشن .

هز رأسه يائسًا :

ـ حتى أنت يا ربع محترمة !

والتفت إلى أصغرهم المتدين :



ــ ما الحكاية يا شيخ (بلال) ؟

وجاءه رد الشيخ (بلال) ، وهو يمُص أصابعه :

ــ قالب سكر سريع الذوبان يا أخ (يويو) .

نفد صبره ، وقفز يطاردهم إلى خارج الغرفة ، وهو يهتف فيهم بغيظه :

ــ لا .. الحق علىّ أنى احترمتكم يا حزمة مقشات ..

ومضى يجرى خلفهم وهم يضحكون ، حتى إذا ما خرج إلى الريسبشن تسمّر فى مكانه محدقًا فى زائرة تجلس مع أمه ، وهو يغمغم فى ذهول عاصف :

ــ (سوزى) ؟!!

وابتسمت (سوزى) لما فعلته به المفاجأة ، فى حين بادرته (فاطمة) بابتسامتها الجميلة ، وأسلوبها الرصين الراقى :

ــ ماذا بك يا نجمنا الجميل ؟! ألن ترحب بهذا البدر الذى هبط علينا ؟!

وأسرعت (سوزى) ترد التحية :

ــ مرسيه يا ماما .

ــ الله ! « ماما » خارجة من شفتيك سكر يا حبيبة قلبى .

وعادت تهتف فى ابنها المتسمر فى مكانه كالصنم :

ــ ماذا بك يا نجمنا ؟!

انتبه (يحيى) قليلاً ، وأسرع يصافح الزائرة الفاتنة بالكثير الباقى من دهشته :

ــ أهلاً أهلاً مدام (سوزى) .. ما هذه المفاجأة ؟!

ــ المهم مفاجأة حلوة أم ...؟

ــ مذهلة !

وهَمَّ بأن يجلس بمقعد مجاور ، فأسرعت (فاطمة) تهتف به بابتسامة دهشة :

ــ نجمنا .. هل ستجلس هكذا ؟!

انتبه (يحيى) لبيجامته ومظهره غير المهندم ، فأسرع يعتذر لضيفته بارتباك :

ــ أنا آسف .. لحظة وسأكون مع حضرتك .



وأسرع إلى الحمام ، بينما (بلال) يشيعه بهتفته :

ــ بسرعة يا أخ (بوبو) قبل ما السكر يذوب .

فى حين التفتت (سارة) التى كانت لا تزال واقفة إلى (سوزى) مرحّبة بها بمنتهى الفرحة :

ــ نورتينا يا أحلى قمر .

وجاءها رد (سوزى) باسمة ممتنة :

ــ أنت القمر يا أحلى (سارة) .. تعالى هنا بجوارى .

ــ ثوان وراجعة لحضرتك .

ومضت إلى المطبخ محضرة كولا وجاتوه ، وزعتها على الضيفة وأمها وإخوتها ، ثم جلست إلى جوار الضيفة معاودة الترحيب بها ، وعاودت (فاطمة) أيضًا الترحيب بها ، ودار بين الجميع حديث حميم كان بطله (يحيى) الذى ما لبث أن أقبل عليهم بكامل أناقته ليبادرهم مداعبًا :

ــ أشم رائحة تقطيع فى فروتى ..

ثم جلس قبالة (سوزى) معـــاودًا الترحيب بها ، فكان ردها فى سعادة :

ــ يا بنى وفر على نفسك فيلم الترحيب هذا ، أنا لم أعد ضيفة ، ففى هذه الدقائق القليلة صرت عضوة فى هذه الأسرة الرائعة .

وكان رد (فاطمة) سريعًا بابتهاج :

ــ وهذا شرف كبير لنا يا حبيبة قلبى .

ــ مرسيه يا ماما .

وعادت بعينيها الباسمتين إلى (يحيى) مستطردة :

ــ هـــذا أولاً ، أما ثانيًا فهـــو أننى تعمدت عدم الاتصال بك لإخبارك بقدومى حتى أعفيك من إعدادات ومراسم الضيافة المملة ..

ولم يملك (يحيى) إلاّ أن يبتسم متسائلاً :

ــ وثالثًا ؟

ــ ثالثًا إننى جئتك قاصدتك فى خدمة إنسانية من الدرجة الأولى .

ــ وأنا تحت أمر عضوتنا الجميلة الجديدة .

ــ هناك رجل بسيط جدًا يمر بمرحلة قاسية جدًا من حياته ، ولكنه قبل أن يبلغ هذه المرحلة كـــان قـــد أدّى واجبه فى الحياة

على أكمل وجــه ، سواء نحو أسرته ، أو نحو المجتمع ، ومع ذلك لم يتوقف عطاؤه عند هذا الحد ، فعلى مدى مشواره الطويل فى الحياة طالما كان سببًا فى إسعاد ناس ، وطالما مسح دموع ناس ، وأبدلها بابتسامة وفرحــة ، ويكفيــه للتدليل على هذا عملان من أعماله الكثيرة يستحق عليهما كل تقدير المجتمع .. أما الأول : فإنه فى يوم من الأيام عثر على حقيبة تحت مقعد بمطار القاهرة الدولى بهــا مجوهرات يزيد ثمنهــا على مليون جنيه ، فأسرع بتسليمها إلى سلطات الأمن بالمطار ، ليتبين أنها ملكًا لثرى عربى ، وحينما عرض هذا الثرى على الرجل الأمين مكافأة الــ 10% التى يستحقها لأمانته كان رده هو أنه لم يفعل سوى واجبه ، ورفض تسلُمها بمنتهى عزة النفس وبإصرار عجيب .. فعل هذا فى وقت لم يكن راتبه الشهرى يزيد على مائة وخمسين جنيهًا يعول بها زوجته وطفليه ..

ـ والثانى ؟

ـ الثانى : أنه أحســن تربية ولديه رغــم ظروفه المعيشية القاسية حتى صارا فى الحياة رجلين بهما كل صفات الرجولة والشرف والأمانة ..

وسكتت (سوزى) مطرقة إلى الأرض فى تأثر جليل كسا وجهها ، بينما عيون الجميع عليها بنفس التأثر ، حتى وجد (يحيى) نفسه يقول لها :

ـ واضح من تأثرك هذا يا مدام (سوزى) أنه فى محنة ما .

ـ نعم .. فكما قلت فى بدء حديثى أنه يمر الآن بمرحلة قاسية ، فقد رحلت عنه رفيقة حياته فجأة ، وتركته يتجرّع الوحدة فى شيخوخته بكل مرارتها وسمومها .

ـ وولداه ؟!

ـ موجودان ، ويضعانه فى عيونهما ، وأحدهما يقيم معه فى نفس المنزل ، ولكن فى نفس الوقت صارت لكل منهما أسرته المسئولة منه ، والتى يمضى إليها فى نهاية اليوم مضطرًا ليبق الأب المسن وحيدًا مع الصمت والوحشة وحسرة الذكريات وأطلال حياته التى كان ينعم بها إلى وقت قريب ، وطبعًا النتيجة الحتمية هى دموعه التى يتجرّعها الآن فى وحدته وكأنها زاده الذى كان ينتظره ..

ومرة أخرى سكتت (سوزى) لتمسح دموعها التى غلبتها ، بينما أطرق الجميع صامتين إلاّ (فاطمة) التى انسابت تمتمتها بمنتهى المرارة :

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .

ورفع (يحيى) وجهه إلى (سوزى) قائلاً :

ـ والآن ....

أسرعت تقاطعه :

ـ الآن جاء علينا الدور كى نمسح له دموعه ونبدلها بابتسامة تسعد قلبه كما كان يفعل دومًا .

ـ نعم .. ولكن كيف ؟

ـ بأن نجلسه أمام المجتمع كله ليقول له كل أفراده معًا « شكرًا .. نحن معك ، وأنت لست وحدك » .

وفهمها (يحيى) على الفور ، وأسرع يسألها :

ـ تقصدين استضافته فى « الأمل » .

ـ نعـــم .

أسرع يلتفت إلى شقيقته قائلاً :

ـ ورقة وقلم يا (سارة) .

أسرعت (سوزى) تسأله :

ـ لمـــاذا ؟

ـ كى آخذ بياناته وعنوانه .

وإذا برد (سوزى) :

ـ لا داع لذلك ، فأنت تعرفه .

فوجئ :

ـ أنـــا ؟!

ـ نعـــم .

ـ ومن يكون ؟

ـ بابا (ذكى) .. والد (عماد) .. زوجى .

★ ★ ★



الفصل السادس

لما يقرب من الدقيقتين راح الدكتور (سيد عبد الكريم) أستاذ جراحة العظام بمستشفى « دار الفؤاد » يفحص الأشعة المثبتة فوق الأستاند المضىء المستقر إلى يمينه ، ثم استدار بمقعده العالى الظهر نحو (هشام البكرى) والدكتور (ثابت البيومى) مدير المستشفى الجالسين أمام مكتبه الضخم ، وراح يهز رأسه بدهشة جعلت (هشام البكرى) يسأله :

ـ خير يا دكتور ؟

وكان رد الطبيب الكبير بدهشته :

ـ شىء غريب ! مجرد مشكلة بسيطة فى العمود الفقرى كان يمكن معالجتها بجراحة بسيطة من بدء الإحساس بالألم .

فوجئ (هشام البكرى) :

ـ وكانت ستمشى على قدميها ؟!

ـ بشكل طبيعى جدًا ، وهذا هو ما يثير دهشتى .. لماذا لم تجر الجراحة كل هذا السنوات ورضيت بأن تعيش قعيدة هكذا رغم أن تكاليف هذه الجراحة فى ذلك الوقــت ما كانت ستزيد على ألفى جنيه ؟!

انتفض (هشام البكرى) فى مقعده مصعوقًا :

ـ كـــم ؟!!

ـ ألفا جنيه لا أكثر يا (هشام) باشا .

ـ ألفا جنيه جعلتها تعيش كل هذه السنوات كسيحة ؟!

ـ للأسف .. نعم .

غلى الدم فى رأس (هشام البكرى) ، ووجد نفسه يصرخ فى داخله بمنتهى السخط :

ـ الله يلعن الفقر .. الله يلعنه .

ولم ينقذه من انفعاله إلاّ نداء الدكتور (سيد عبد الكريم) له :

ـ (هشام) باشا !

انتبه (هشام البكرى) إلى الطبيب :

ــ آسف يا دكتور (سيد) .. آسف .

وهز رأسه هزة أسف ، ثم عاد يسأل الطبيب :

ــ وهل ما زال من الممكن إجراء هذه الجراحة يا دكتور ؟

وجاءه رد الدكتور (سيد عبد الكريم) فى حنو :

ــ نعم يا باشا .. ما زال هذا ممكنًا .

ــ وبنفس النجاح ؟

ــ وبنفس النجاح .

ــ إذن أرجو سيادتك .. أرجوك إجراءها بأسرع ما يمكن .

فكّر الطبيب الكبير قليلاً ، ثم كان رده :

ــ نحن الآن فى أغسطس ، والجو كما ترى لا يُطاق .. سننتظر فقط حتى نخرج من هذا الحر لأنه سيضاعف من إحساسها بالجرح ، أى بمشيئة الله سنجريها فى « أكتوبر » على أبعد تقدير .

سرت الفرحة فى قلب وكيان (هشام البكرى) كله ، ووجد نفسه يعاود سؤال الطبيب :

ــ وبعد هذه الجراحة ستمشى على قدميها ؟

ــ بعد الجراحة ، وبعـد فترة نقـاهة وتمارين على المشى ، وبمشيئة الله لن تغادر هذا المستشفى إلا سيرًا على قدميها .

قفزت فرحة (هشام البكرى) إلى ذروتها ، ووجد نفسه يهتف فى الطبيب الكبير :

ــ هل يمكن الحجز لها من الآن يا دكتور ؟

ــ طبعًا .

والتفت إلى الدكتور (ثابت البيومى) مستطردًا :

ــ وها هى الإدارة كلها مع سيادتك .

أسرع (هشام البكرى) يلتفت إلى مدير المستشفى هاتفًا فيه بكل فرحته :

ــ دكتور (ثابت) صديقنا الحميم .

وكان رد مدير المستشفى مبتهجًا بسعادته :

ــ تحت أمرك يا صديقى .

قالها الدكتور (ثابت البيومى) ، بينما (هشام البكرى) يختطف دفتر شيكاته من جيب سترته ، ويوقّع شيكًا منها ، ومد يده به إلى الدكتور (ثابت البيومى) مردفًا بفرحته :

— تفضل يا أعظم صديق وأعظم طبيب وأعظم مدير .

تناول الدكتور (ثابت البيومى) الشيك منه ، ونظر فيه ، فانفلتت هتفته بمنتهى الدهشة :

— ما هذا يا (هشام) باشا ؟! شيك على بياض ؟!

وكان رد (هشام البكرى) بمنتهى الجدية وكأنه يصدر أمرًا :

— نعم يا سيدى .. نعم .. أريد لهذه السيدة كل ما يمكن أن يقدمه المستشفى لوزير .. أو حتى لرئيس وزراء .

★ ★ ★

ومضى (هشام البكرى) مغادرًا المستشفى ، وهو يشارك (يحيى إسلام) فى دفع مقعد أمه ..

من يستطيع وصف ما يجرى داخل (فاطمة) فى هذه اللحظات ؟!

مـن ؟!

هى فى مقعدها .. نعم .. ولكن هذا ما يبدو للناظر إليها فقط .. فهى فى داخلها الآن تطير بجناحين عفيين بعيدًا .. بعيدًا .. بعيدًا .. وهى الآن ارتدت صبية عذراء القلب نفختها الفرحة فطارت عاليًا

تشرب من نور الشمس ، وتعكسه على عيون- الناظرين ملونًا بهيجًا فاتنًا .. وهى الآن ناسكة تتمنى لو صعدت بروحها إلى أقرب ما يسمح به الرحمن كى تسجد بين يديه سجدة ممتدة بامتداد الخلود .. سجدة الحمد لأعظم صاحب فضل ..

يا الله !!

ها هى ألوان الفرح تتمدد وتنتشر أمام عينى (فاطمة) مبددة ذلك اللون الرمادى الذى ظل صابغًا الحياة فى عينيها لأكثر من عشرين عامًا حتى ظنته لن يفارقها إلاّ على شفير الموت ..

يا الله !

ما أجملك .. ما أجملك يا إلهى ..

هكذا راحت تمرح أهازيج الفرح داخل (فاطمة) ، وهى تغادر البوابة الداخلية للمستشفى بأيدى ابنها و(هشام البكرى) قاصدين سيارة الأخير الواقفة فى ساحة المستشفى .. كان يقف إلى جوار السيارة مشغولاً بالحديث فى موبايله (حازم الدربى) مدير أمن مؤسسة (هشام البكرى) ، والذى يستعين به (هشام البكرى) فى بعض تنقلاته خارج المؤسسة .. انتبه (حازم الدربى) من حديثه التليفونى على صوت (هشام البكرى) يناديه بلهجة آمرة :

ـ حــازم !

أسرع (حازم الدربى) باغلاق موبايله ومجيبًا :

ـ أفندم يا (هشام) باشا ؟

ـ البــاب .

أسرع (حازم الدربى) بفتح باب السيارة .. شىء ما خطف الفرحة من قلب (فاطمة) ووجهها بمجرد أن وقعت عيناها على وجه الرجل وهو يقف ممسكًا بباب السيارة بانحناء خفيف .. وجدت نفسها تدقق النظر فيه .. هذا الوجه ليس غريبًا عنها أبدًا .. من يكون هذا الرجل ؟!

من يكون ؟!

شدة انشغالها بالرجل جعلتها لا تشعر بابنها و(هشام البكرى) وهما يضعانها فى المقعد الخلفى للسيارة بمنتهى الرفق ، وظلت عيناها على (حازم الدربى) ، وهو يطوى مقعدها المتحرك ، ويرفعه فوق السيارة ، وأغلق (هشام البكرى) باب السيارة عليها

برفق ، وركب إلى جوار سائقه ، بينما ركب (يحيى إسلام) إلى جوار أمه ، وتحركت السيارة ، بينما عينا (فاطمة) ما زالت على (حازم الدربى) وهو يعود إلى سيارته وسؤالها يكاد يلتهم عقلها :

من يكون هذا الرجل ؟

من يكون ؟

★ ★ ★

ما إن فرغ (عماد ذكى) من قراءة ملف المستندات الذى يحوى ما يزيد على ألف مستند ، والذى كلفـــه (هشام البكرى) بتلخيصه كى يكون استجوابه المقبل فى البرلمان لأحد الوزراء حتى وجد نفسه ينتفض فى مقعده هاتفًا بمنتهى الذهول :

ـ يا نهار أسود !

وراح يحدق أمامه بجـــم ذهوله ، وهو يجلس خلف مكتبه فى غرفته حتى إنه لم يشعر بـــ (سوزى) وهى تدخل عليه بالقهوة ،

وتضـــعها أمامه على المكتب ، ولم ينتبـــه لوجودها إلاّ عندما سمعها تسأله فى دهشة لشروده الذاهل :

ـ حبيبى .. ما بك ؟!

التفت إليها ، وراح يحلّق بنظراته الذاهلة على وجهها دون أن يجيبها ببنت شفة ، فلم تملك إلاّ أن تلقى نظرة قلقة على الملف المفتوح أمامه ، ثم تردف قائلة له :

ـ مؤكد فيها (هشام) باشا .

فكان تساؤله بحجم ذهوله ، وكأنه يسأل نفسه :

ـ ماذا يريد هذا الرجل ؟!

التقطت (سوزى) ببصيرتها جوهر الأمر ، فزال قلقها ، وكان جوابها :

ـ يريد الخير .

نهض خارجًا إليها من خلف مكتبه :

ـ الخير ؟!

نعم الخير .

ـ لمن ؟!

ـ لأخيه الإنسان .

ـ وهـــو ؟!

ألا يريد من هذا الخير لنفسه ؟!

ـ بالطبع يريد .

ـ كيف ؟!

كيف وهو يفعل هذا بنفسه ؟!

ـ ماذا يفعل ؟!

أسرع يشير بانفعال إلى الملف المفتوح فوق المكتب قائلاً :

ـ لو أنكِ قرأت هـــذا الملف لأدركت ماذا يفعل .. إنه ببساطة يُلقى بنفسه فى التهلكة .

واستدار ملتقطًا علبة سجائره من فوق المكتب .. أشعل لنفسه سيجارة منها بتعجل وعصبية ، وأخذ منها نفسًا خاطفًا ، ثم عاود الحديث وكأنه يتحدث إلى نفسه بمنتهى الحيرة :

ـ حقيقى حيّرنى أمر هذا الرجل ، فأحيانًا أراه فى قمة الذكاء ، وأستدل على ذلك بنجاحه الباهر فى الحياة ، وبما بلغه فيها ، ثم أحيانًا أخرى أراه فيها فى غاية الغباء .. أراه كمريض نفسى يعانى التجاهل ، ويريد أن يلفت إليه الأنظار ، فيجهد نفسه فى البحث عن تهلكة كى يلقى بنفسه فيها ، لا لشىء إلا لكى ينتبه إليه الناس ..

وعاد يأخذ نفسًا خاطفًا آخر من سيجارته ، ثم راح ينظر بعيدًا ، وهو يردف متسائلاً بكل حيرته :

ـ من أنت فيهما يا (هشام) يا (بكرى) ؟!

العبقرى أم المريض النفسى ؟!

من أنت ؟!

★ ★ ★

الفصل السابع

بفتنتها الطاغية وببارفانها المثير الذى يسبقها غادرت (سهام) شركة (هشام البكرى) إلى شارع « الخليفة المأمون » ، وما إن خطت فيه بضعة خطوات حتى غرد موبايلها بأغنية (محمد منير) « بنات » .. تناولته من حقيبتها ، وما إن نظرت فى شاشته حتى أسرعت تجيب طالبها بمنتهى الابتهاج :

ـ ألـــو .. حمدًا لله على السلامة يا باشا .

....

ـ أين سيادتك الآن ؟

....

ـ تسمح لى بمقابلة سيادتك ؟

....

ـ نعم الآن .. معى مفاجأة لسيادتك تنتظرك من أسبوعين .

....

ـ حاولت .. حاولت الاتصال بسيادتك فوجدت موبايلك مغلقًا .. طلبتك على الأرضى فأجابتنى خادمة سيادتك بأنك فى « باريس » .

....

ـ أنا ممكن أحضر إلى سيادتك حالاً .

....

ـ نعم .. أعطنى سيادتك العنوان .

....

ـ أوكيه يا أفندم .. أوكيه .. باى ..

وأغلقت الموبايل ، وأسرعت تشير إلى تاكسى ، ومالت على سائقه قائلة له فى لهفة وتعجّل :

ـ مساكن شيراتون ؟

وافق السائق ، وانطلق بها .. أقل من نصف ساعة وكانت تغادر التاكسى .. مضت تجوس بين بنايات « مساكن شيراتون » بخطواتها السريعة حتى دلفت إلى إحداها صاعدة إلى إحدى شققها بالطابق الثالث .. ضغطت جرس الشقة ففتحت لها خادمة عشرينية العمر وقحة العينين قادتها إلى غرفة مكتب ، ما إن دلفت منها حتى صاح (صلاح عثمان) من مقعده خلف مكتبه بصدر الغرفة بطريقته الهمجية :

ـ أهلاً أهلاً بعود الأبنوس .

أقبلت عليه (سهام) مصافحة فى ابتهاج وحميمية :

ـ أهلاً بسيادتك يا باشا .

ـ تفضلى .

وأشار لها بالجلوس أمامه ، ففعلت :

ـ مرسيه يا باشا .

ووضعت حقيبتها أمامها فوق المنضدة ، بينما (صلاح عثمان) يعاود ترحيبه بها :

ـ حمدًا لله على السلامة .

ـ الله يسلمك يا أفندم .

والتفت (صلاح عثمان) إلى الخادمة ، وهَمَّ بأن يقول لها شيئًا ، ولكنه عاد يقول لـــ (سهام) :

ـ طبعًا لم تتناولى غداءك .



وكان رد (سهام) باسمة :

ــ تلقيت مكالمة حضرتك وأنا أغادر الشركة .

ــ هذا من حُسن حظى .. ما رأيك فى أكلة سمك معى .

ــ مرسيه يا أفندم .

ــ لا أريد شكرك .. أريد موافقتك .

وأردف قبل أن تجيبه برد :

ــ على الأقل كى يكون بيننا عيش وملح .

ولم تملك (سهام) إلاّ أن تجيبه قائلة :

ــ هذا شرف لى يا أفندم ..

أوكيــه .

ابتسم (صلاح عثمان) صائحًا بفجاجته :

ــ أموت أنا فى « أوكيه » هذه .

والتفت إلى الخادمة مردفًا :

ــ بسرعة اتصلى بـــ (شاكر) السماك ــ واطلبى منه مأدبة سمك ملوكى .

أجابته الخادمة ، وهى ترمى (سهام) بنظرة وقحة :

ــ أمرك يا باشا .

واستدارت الخادمة اللعوب منصرفة ، بينما عاد (صلاح عثمان) يداعب (سهام) قائلاً :

ــ لو كنت مكان (هشام البكرى) لعينتك مديرًا عامًّا على الأقل ، لا سكرتيرة .

انفلتت ضحكة (سهام) الساخنة ، ثم كان ردها :

ــ لو فعل ما وجدت سيادتك جستابو خمس نجوم مثلى .

جلجلت ضحكة (صلاح عثمان) :

ــ فى هذه عندك مليون حق .

وأشعل لنفسه سيجارة من علبته الـــ (ميريت) ، ثم أردف يسألها :

ــ ها .. ماذا فى جرابك يا عود الأبانوس ؟

ابتسمت (سهام) ، ومدت يدها فى حقيبتها متناولة موبايلها .. ضغطت فيه عدة أزرار فإذا بصوتى (هشام البكرى) و(عماد ذكى) ينبعثان منه .. ناولته لــ (صلاح عثمان) الذى مضى يصغى إلى كل ما دار بين (هشام البكرى) و (عماد ذكى) حول الاستجواب الذى ينوى الأول طرحـــه فى مجلس الشعب ، وظل (صلاح عثمان) يصغى وانفعالات الدهشة تتصاعد على وجهه وفى عينيه ، حتى إذا ما انتهى الحوار الساخن راح يحدق فى الموبايل مذهــولاً دون أن ينبس ببنت شـــفة حتى وجدت (سهام) نفسها تناديه :

ــ (صلاح) باشا !

ورفع (صلاح عثمان) عينيه إليها بجم ذهوله :

ــ هـــا ...

ــ ما رأيك يا باشا ؟

انفجر انبهاره فى وجهه وفى عينيه :

ــ رأيى .. رأيى إنك أنتِ الباشا يا (سهام) باشا .

ــ مرسيه يا باشا .

وإذا بهتفة (صلاح عثمان) بفجاجته :

ــ مرسيه لك أنت يا أجمل باشا .. لا .. لا .. مرسيه حاف هكذا لا تغنى ولا تسمن من جوع .

وأسرع يفتح أحد أدراج مكتبه ، وإذا به يتناول منه خمسة آلاف جنيه ، ويضعها أمام (سهام) مردفًا بهياجه :

ــ خذى ! خذى ضعى هذه فى الــ « مرسيه » كى تكون سندوتشًا مغذيًا ، وبالهنا والشفا .

ثم نهض متجهًا إلى النافذة الألوميتال العريضة المطلة على الحديقة الكبيرة المنمقة الفاصلة بين البنايات ، ووقف فيها محدثًا نفسه بغل رهيب يكاد يفتك بصدره ، وعيناه على حدأة تنهش أغصان شجرة وارفة تتوسط الحديقة بشراهة بغيضة وعدوانية :

ــ هكذا يا (هشام) يا (بكرى) .. وعدتك بأن أزفك زفافًا لم تحلم به إلى السجن .. وها أنا أفى بالوعد .

* * *



انفلتت صفارة الإعجاب من شفتى (سوزى) وهى تمرح بعينيها على أناقة (عماد ذكى) ووسامته ، ودنت منه هاتفة :

ــ مُز .. مُز !!

ابتسم وهو يرش نفسه ببارفانه الباريسى الفواح .. أعاد زجاجة البارفان إلى مكانها فوق التسريحة ، ثم استدار إليها متسائلاً بابتسامته المميزة :

ــ أعجب ؟!

ــ تجنن .

استدار مرة أخرى ناحية المرآة ، وراح يتأمل نفسه بعينيه الباسمتين .. شعره الأسود اللامع بتسريحته الجميلة بالچل .. وجهه النضر .. بدلته البنية شديدة الأناقة وقد ضوّى من تحتها قميصه الأبيض الناصع .. رابطة عنقه الحريرية بخطيها البنى والذهبى .. فاح فى وجدانه إحساس بالسعادة والزهو بوسامته وأناقته العالية .. وجد نفسه يقول لـ (سوزى) من خلال المرآة :

ــ هذه لحظة فارقة فى حياتى .

ورفع عينيه عن نفسه مرسلها بعيدًا فى عمق المرآة ، محدقًا بتبسمه لوهلة فى شىء ما لا يراه سواه ، ثم أردف قائلاً :

ــ فى يوم من الأيام وأنا فى الليسانس كنت أتسكع مع شلة الكلية فى شارع جامعة الدول العربية ، وفجأة وجدتنى أقف أمام أحد أبراجه ، وأخاطب الشلة كلها قائلاً : يومًا ما سوف يكون لى مكتب فى هذا الشارع ، وستكون واجهته علامة باليافطة المضيئة التى ستحملها ــ والتى لن تقل عن عشرين مترًا مربعًا ــ مكتوبًا عليها (عماد ذكى الدرينى) المحامى ، ويومها ظلت الشلة تضحك علىّ وتسخر منى حتى غادرنا الشارع .

واستدار ناحية رزم البنكنوت التى تملأ حقيبته المستقرة فوق الفراش ، وأخذ نفسًا عميقًا جدًا نفخ صدره فوق انتفاخه بزهوه ، ثم مضى مستطردًا وعيناه على النقود :

ــ وها أنا أفعلها .. ها أنا فى طريقى لكتابة عقد تمليك مكتب فى أفخم برج فى هذا المختال بنفسه المدعو شارع جامعة الدول العربية ..

ولم تملك (سوزى) إلا أن تديره نحوها بيديها بكل ما فى قلبها من حنو لتقول له من قلبها وبسعادة لا تقل عن سعادته :

ــ ألف مبروك يا حبيبى .. ألف ألفِ مبروك ..

وضمته فى حضنها مردفة بكل الحب :

ــ بإذن الله .. بإذن الله سوف يكون أشهر مكتب محاماة فى البلد ، وسيكون حبيبى أعظم محامٍ عرفته « مصر » .

ــ بإذن الله يا حبيبتى .. بإذن الله .

وخرج من حضنها ، ومال على حقيبته وأغلقهـا ، ثم اعتدل واقفًا ممسكًا بها ، وهو يقول لـ (سوزى) بابتسامته :

ــ ادعى لى يا حبيبتى .

ــ ربنا يوفقك يا حبيبى .

وتبادلا القبلات ، واستدار هو منصرفًا ، فإذا بـ (سوزى) تقول له :

ــ حبيبى !

توقف ملتفتًا إليها بابتسامته :

ــ نعم يا حبيبتى .

ــ ممكن لو وجدت وقتًا لديك تمر على معمل الدكتور (إبراهيم العيسوى) أمام مسجد (مصطفى محمود) ؟

ــ لمـــاذا ؟

ــ لى تحاليل هناك منذ عشرة أيام ، ومؤكد نتيجتها ظهرت .

يتبع فى الجـزء القادم

فوزى عوض



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



فوزى عوض

شموع ورياح

ها هى ألوان الفرح تتمدد ، وتنتشر أمام عينى « فاطمة » ، مبددة ذلك اللون الرمادى الذى ظل صابغًا الحياة فى عينيها ، لأكثر من عشرين عامًا ، حتى ظنته لن يفارقها إلاّ على شفير الموت ..

116

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



